سومر

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر -
الجمهورية العراقية
المجلد الثاني عشر - العدد الثاني - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٢

WWW.ATTAWEEL.COM

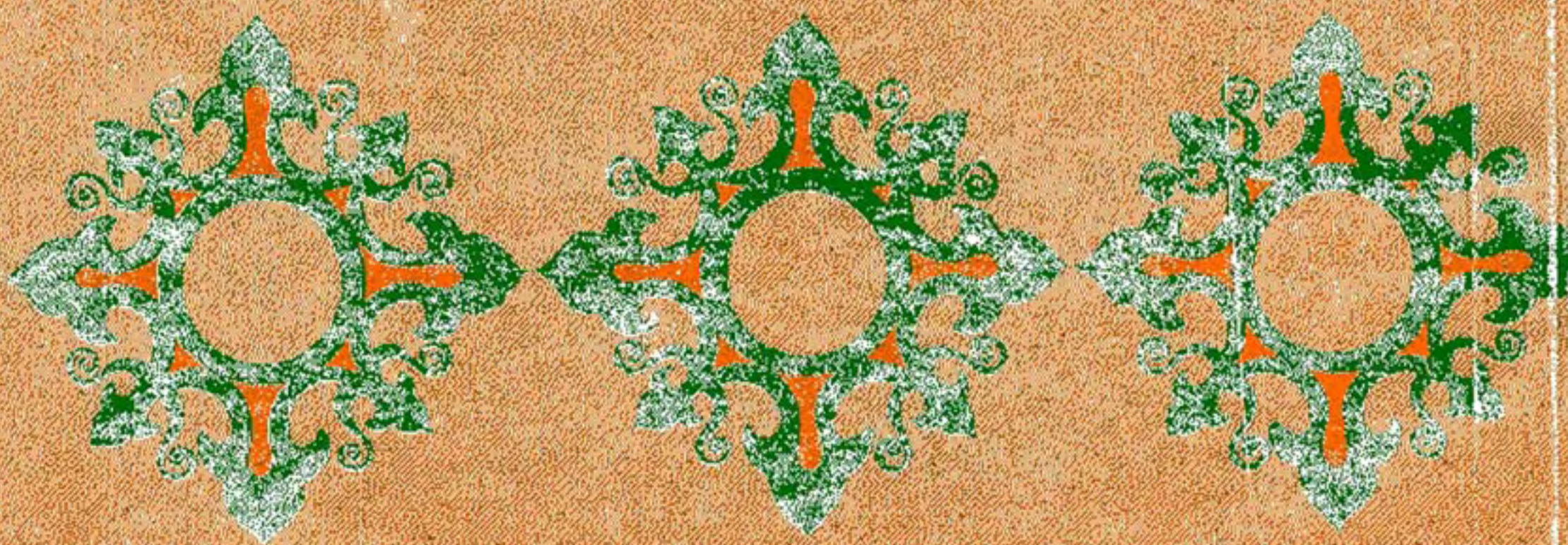

أسد الدين محمد

حـــول كتابـين تراثيـين

نقد واستدراك

هلال ناجي

الأطلمية ص . ب ٤٠٦٨

ـ ١ ـ

الحارثي : حياته وشعره

جمع وتحقيق ودراسة

زكي ذاكر العاني

هذه محاولة ناقصة نقصاً مخلا لجمع شعر شاعر فحل هو عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي . ونقصانها جعلها تتمخض عن محصول ضئيل غاية الضآلة لم يجاوز المائة والثلاثين بيتا ، اذا استثنينا قصيدتين : قصيدته العينية ، التي نقلها المحقق بالتمام عن مقال متسلسل نشره العلامة خليل مردم في مجلة المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٥٧ ، ثم ضمّنه كتابه الموسوم « الشعراء الشاميون » الصادر عن دار صادر ببيروت عام ١٩٧٧ بعناية ولده البار عدنان مردم . وهي قصيدة نشرها الخليل للمرة الاولى محققة عن مخطوطة جمهرة الاسلام ذات النشر والنظام لابي الغنائم الشيزري عام ١٩٥٧ ، ثم نقلها عنه السيد زكي دون الرجوع الى المخطوط الاصلي الموجود في لايدن او صورتيه الموجودتين في دمشق والقاهرة ، خلافا لقواعد التحقيق العلمي التي توجب ذلك ، وتمنع الاعتماد على مصادر متاخرة نقلت عن المخطوط . على انه حتى في هذا النقل لم يكن دقيقا ، فقد اغفل كثيراً من الفروق بين روايتي الجمهرة وطبقات ابن المعتز لبعض ابيات القصيدة، مما اثبته الخليل في نشرته . ويبدو الامر موضع استغراب حين نجد السيد زكي يغفل تخريج القصيدة العينية المذكورة برقم (٢٩) في كتابه اغفالا تاما . وكان عليه ان يقول انه نقلها عن افتتاحيتين نشرهما خليل مردم في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في المجلد ٣٢ ـ العددان ٣ و ٤/١٩٥٧ (تموز ـ تشرين الاول) . ولعله مما يزيد في الاستغراب ان الاستاذ زكي ، ذكر مخطوطة جمهرة الاسلام نسخة دار الكتب المصرية رقم ٩٢٢٣ ضمن مصادره ، رغم انها لم تكن بين يديه ولا رجع اليها ، وهذا ثابت باقراره المثبت على الصحيفة ٦٩ من كتابه المتضمن انه نقل القصيدة عن خليل مردم .

والقصيدة الثانية : اللامية ، وهي قصيدة ذائعة الصيت متدافعة بين الحارثي والسموال ، واولها :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكلّ رداءٍ يرتديه جميلُ

وموجودة في ديوان السموال في كل طبعاته . وقد نقلها من حماسة ابي تمام ، قاطعاً بنسبتها للحارثي ؛ وهو راي رجّحه خليل مردم قبل ربع قرن من الزمن ، ودال عليه في حينه في بحثه المشار اليه .

واقول : ان القيمة العلمية لاي مجموع شعري يعتمد الجمع واللملمة ، انما تكمن في اربعة امور ، اولها : جهد المحقق في الغوص والتنقير عبر المخطوطات الدفينة للظفر بشعر الشاعر غير المعروف المتناثر عبر المجهول من تراثنا .

وثانيها : الهوامش العلمية التي يصنعها لمجموعه ، والتي يجب ان تتماز بامور منها الدقة والامانة العلمية والاستقصاء .

وثالثها : الترجمة العلمية للشاعر من خلال شعره ، ومن خلال ما تناثر من اخباره .

WWW.ATTAWEEL.COM

ورابعها : صحة ضبط النص ؛ وسلامة المنهج ، وسلامة الانتفاع من المصادر .

هذه الامور الاربعة هل توفرت في كتاب الاستاذ زكي ذاكر ؟؟

اولا : النقص المخلّ :

لقد قلت ابتداءً : ان مجموع ما جمعه المحقق من الشعر هو مائة وثلاثون بيتا ، إذا استثنينا القصيدة العينية التي نقلها عن مقالة خليل مردم ، واللامية المثبتة في ديوان النمّوال وفي مصادر اخرى . وهذه المائة والثلاثون بيتا التي جمعها ، نصفها غير ثابت النسبة للحارثي ؛ بل هو متدافع بينه وبين سواه(١) . فتكون الحصيلة سبعين بيتا ! موجود جلّها في ثلاثة مصادر هي : طبقات ابن المعتز وحماسة ابي تمام ومحاضرات الراغب الاصبهاني .

ان المحقق ـ ايثارا للسهولة ـ اعتمد في جمعه الكتب المطبوعة فحسب ، مما جعل حصيلة جمعه ضئيلة للغاية كما اسلفت ، فاعتور الكتاب من اجل هذا نقصٌ خطير ، ولحق الشاعر من ذلك حيفٌ كبير . وانا من قبل ومن بعد ، رجل قانون ، لا اسوق الكلام على عواهنه ، بل اقدمه محفوفا بالدليل ، مدعّما بالحجة ، مستنداً الى البرهان ، وفيما يلي مائة وعشرة ابيات من شعر الحارثي الثابت النسبة له وحده ، ظفرت بها بعد جولة واسعة عبر المخطوطات ، كلها لا وجود لها في الكتاب المنقود ، وهي دليل ناطق على ما اعتوره من نقص كبير وصل حدّ الاخلال .

(١) كثير مما جمعه ثابت النسبة لابن الرومي وبشار وابي فراس وموسى شهوات ودعبل وعبيد الله بن عبدالله بن طاهر وبكر بن النطاح ومجنون ليلى وسواهم .

●

(الاشعار التي فاتت جامع ديوانه فاخلّ بها كتابه)

وقال الحارثي :

١ ــ لئن كنتَ ان سادَ ابن عمك ساخطاً ... لكثْرٌ على ماقد أرى سَتَسَخَّطُ

٢ ــ لعمري لقد جاريتني فشاكَ بي ... مِعَنٌ مِفَنٌ مِزْيَلُ الأَمْرِ مخلطُ

٣ ــ وناضلتني فارتدّ سهمكَ راجعاً ... نأى فوقَ نابٍ ريشُهُ مُتَمَرِّطُ

٤ ــ فما أنت لولا انّ بُرْدَكَ رائقٌ ... وانك عالي المنكبين مُخطّطُ

٥ ــ فانْ قلتَ في النادي انا ابن مُحَمَّدٍ ... فقد يَلِدُ الجلفَ النجيبُ العَشَنَّطُ

٦ ــ رأيتكَ تنسينا بفعلك ذكره ... ويُذكرناه الرهثمي العَنَطْنَطُ

٧ ــ غلامٌ بِناءُ الحمد والمجد همّهُ ... وهمّك مزمارٌ وراحٌ وبربطُ

٨ ــ وما زال يسمو عالي الكعب صاعداً ... وما زلت تجري منذ كنت وتهبطُ

٩ ــ ستعلم إنْ زلّت بك النعلُ أيّنا ... لصاحبِهِ ألقى وأرْعى وأحْوَطُ

١٠ــ تأبطتَ أضغانَ الاقارب ظالماً ... وذو الظلم قالٍ غِبّ ما يتأبّطُ

١١ــ عَدِمْتُكَ مولى نصرةٍ وحفيظةٍ ... تقول فلا تأتي السدادَ وتُسْقِطُ

١٢ــ وتركبُ رأساً في الغواية سادراً ... كما خرجتْ عَشْواءُ في الليل تخبطُ

١٣ــ وتمنعُ ما لا يمنعُ الحرُّ مثلَهُ ... وتغمطُ قربى حقّها ليسَ يُغمَطُ

١٤ــ فشأنك فامنع مالديك بقدرةٍ ... فانتَ على ما في يديك مُسَلَّطُ

١٥ــ ستركبُ مني صَعْبَةً انتَ ساقطٌ الى الارض منها فانظرن كيف تسقط

١٦ــ بلوناك من سوء الفعال وقبحهِ باتنَ مما ينبذُ المتَفوِّطُ

١٧ــ فانَّ عقوقَ المرء للعِرض شائنٌ وللعقل مغتالٌ وللاجر مُحْبِطُ

١٨ــ ستُبعد داري من ديارك طيِّبَةٌ يرفُّ بواديها أَراكٌ وعُرْفطُ

١٩ــ بِواهٍ به حصناي أبيضُ صارمٌ أصمُّ به كشحي ، وصفراءُ شوحَطُ

٢٠ــ هنالك أعصي الزاجرين ويلتوي بما شئتُ مشبوح الذراعين أضْبَطُ

٢١ــ وأهْجُرُ داراً كان غيري يَرُبُّني ويأخذني فيها بما يتشرَّطُ

التخريج : مخطوطة كتاب الانس والعرس للابي ــ مصورة في خزانتي . الورقة ١٥٧ ــ ١٥٨ .

●

فيما يضرب مثلا للمصون المحجب ، حيث قالوا : « ما راته الشمس » ، والى هذا اشار عبدالملك بن عبدالرحيم في قوله :

لم تكحل الشمسُ بها عينَها إلاّ من الخدر الى الهودج

التخريج : مخطوطة كتاب الامثال الورقة ٢٦ب ــ نسخة مكتبة فيض الله في استانبول رقم ٢١٣٣ .

●

في ذكر انصاف ابيات تامة قائمة بذاتها تصلح امثالا ، اوتجري مجرى الامثال :

[قال] العدلي : والمرءُ يعجزُ لا احتيالُهْ

وفيها : واللهوُ أجْمَلُهُ حلالُهْ

التخريج : المصدر السابق الورقة ٤٩ ب .

●

[وقال] الحارثي : « وخيرُ الوصالِ الدائمُ المتيَسِّرُ » .

فيها : « وللمنعُ خيرٌ من عطاءٍ يكدِّرُ » .

فيها : « ولائمة المولى النصيح غنيمةٌ » .

فيها : « فذو الحقِّ فيما جاوز الحقَّ مسرفٌ » .

التخريج : المصدر السابق الورقة ٦١ ب .

●

وقال الحارثي :

١ ــ لعمري لقد بلّغتْ قومي أناتَهُم ... وأمهلتهم لو يرعوون لمُمْهَلِ
٢ ــ واسمعتهم رفع النداء فاعرضوا ... باسماعهم عن قول عانٍ مكبّلِ
٣ ــ ومابهم أن لستُ من سَرَواتِهم ... ولكنّ من يَمْشُرْ به الدهرُ يخذلِ
٤ ــ اساءوا فإنْ أشْكُ الاساءة منهمُ ... أعبهم ، والاّ اشكهم اتململ
٥ ــ لما انصفتني في الحكومة اسرتي ... ولا عدلوا عنّي هواهم لمعدلِ
٦ ــ لَقوا وَجْهَ إجمالي بوجه اساءةٍ ... وما اعتدلت حالا مُسيءٍ ومُجْمِلِ

التخريج : مخطوطة الانس ــ الورقة ١٥٨ .

●

وقال عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي :

١ ــ سرين يَعْدنك فى العائداتِ ... لتذكر نفسك أعيادها
٢ ــ فَمَتّعْتُ عيني من نظرةٍ ... سبقت الى الصبح حُسّادها
٣ ــ فَتُمْن وابقينَ لي لوعةً ... يَشُبُّ التذكّر إيقادها
٤ ــ فقلتُ خذوا يا بني مالكٍ ... بنفسي اذا مُتُّ عُوّادَها

التخريج : مخطوطة كتاب الانس ــ الورقة ١٩٦

●

عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي :

١ ــ اذا ما لم يكن لاحٍ اخوه ... على ما نابَهُ فلسن يكون ؟
٢ ــ أتقعد وابن عمك في وثاق ... أسيرٌ بين اعداءٍ رهينُ
٣ ــ أطاع الشامتين به زمانٌ ... عشور بالكرام لهم خؤون
٤ ــ فطالع بعض ما اغفلت منّي ... رعايتَه وانتَ به قمينُ
٥ ــ ليمحو سَيئاً حَسَنٌ تلاهُ ... كما عَفّى على النعثَ السمينُ
٦ ــ وبادر صرفَ احداث الليالي ... الىّ وانت ذو الثقة الامينُ
٧ ــ فانّي إن أفتك يَفْتُكَ منّي ... ــ ولا تُسْبَقْ به ــ عِلْقٌ ثمينُ
٨ ــ أخٌ ناهيك من كرم وخيرٍ ... يزينُك حيثُ كنتَ ولا يشينُ
٩ ــ تغصّ بنا الفجاج اذا ركبنا ... وتَدْلَهُ في وسامتنا العيونُ

١٠ــ نُضيء كأنجم الليل الزهاري تجلّت عن حواجبها الرجونْ
١١ــ تبيّنُ عن شمائلها وجوه" وراء روائها حَسَب" ودينْ
١٢ــ وإن حَزَبَ العشيرةَ يوم خوفٍ فنحنُ لهم اذا خافوا حصونْ
١٣ــ نحوطُ ورائهم بالبيض حتى تحصّم في مناكبنا الجفونْ

التخريج : مخطوطة الانس الورقة ١٥٥ ــ ١٥٦ .

●

وللحارثي فيه ايضا :

١ ــ اذا ما رآكَ الناسُ لم تَرْعَ حُرمتي رأوا ما تـرى إذ انت أولى واقربُ
٢ ــ فلا تجعلَنْ رفضي لغيرك حُجّة فتُدلي بها الجافي عنيّ المُشَرّبُ
٣ ــ ولا تتركنّي بالذي انت صانع" كأنّي ولم اُذنب الى الناس مُذْنِبُ
٤ ــ أتحسبني ارضى بما غيره الرضا ألا لا ولكن ليس لي عنك مذهب
٥ ــ أبوك أبي والأمُّ أمّي فليس لي ولا لك عن حقّيْهما مُتَنَكّبُ
٦ ــ فها أنا كالراضي وإن كنتُ ساخطاً عليك لان لم ارج عُتبى فاعتبُ
٧ ــ ساكظم غيظاً دونه الصفح ناظراً اليك بعيني مُغْضَبٍ ليس يَغْضَبُ
٨ ــ يسيل به من جانبيه تَحَنُّن" عليك وتثني عَزْمَهُ الأمُّ والأبُ
٩ ــ اذا انتَ لم تنهض بامري فمن له سواك ومن يُعْنى بشأني وينصَبُ
١٠ــ فلو بكَ مابي ــ لا يكن بك ــ لاغتدى اليكَ وراح البرُّ بي والتقرّبُ
١١ــ وقام فلم يقعد بحقك ناهض" عليم" بما يأتي وما يتجنّبُ
١٢ــ وخاضَ اليك الهولَ بي متشَزّر" مريحُ حواشي العزم للعجز مُغْرِبُ
١٣ــ وحيد" يجوبُ البيدَ اكبرُ أنسِهِ حسام" غراراه ووجناه زغدبُ
١٤ــ إذا الريحُ لَفّتْهُ على الرَحْلِ خلتَهُ عتيقاً من الطير انتمى يترقّبُ
١٥ــ ركوب" لحدّ السيف فيما هوينه اذا لم يكن إلاّ على السيف مركبُ
١٦ــ يقيك من اللائي تخاف بنفسه فيحيا وتحيا ، أو يحين فتعطبُ

التخريج : مخطوطة كتاب الانس الورقة ١٥٦ ــ١٥٧ .

●

وقال الحارثي :

١ ــ ولي صاحبٌ مُرُّ المذاق كأنّما أَضُمُّ الى نحري به حَدَّ مُنْصُلِ
٢ ــ رمى الشَّنَأُ في عينيه حتى كأنما يديرُ اليّ اللحظَ من طرفِ أحْوَلِ
٣ ــ يصُدُّ ويزوي الوجهَ دوني كأنّما يُكحَّل من وجهي بصابٍ وحنظلِ

التخريج : مخطوطة كتاب الانس ــ الورقة ٣٣ ــ ٣٤ .

●

الحارثي :

١ ــ بنو عَمِّ « رَوْحٍ » خلطُ مسكٍ وعنبرٍ
« ورَوْحٌ » مُصِنٌّ ريحُه ريحُ جَوْرَبِ
٢ ــ فإنْ يَكُ « مَعْنٌ » زان شيبان كلَّها فقد شان « روحٌ » أمس آل المهلّبِ

التخريج : الورقة ٧٣ ــ كتاب الانس .

●

وقال الحارثي :

١ ــ أساءوا فان أشْكُ الاساءَةَ منهمُ أَعِبْهم ، وإلاّ أشْكُهم أتململِ
٢ ــ فاصبحتُ كالغصان بالماء إن أَقَلْ أُسَفَّهْ ،وإن اسكتْ لِبُقيا أُجَهَّلِ
٣ ــ واني متى ما أبْغِ داراً بدارهم أَذِلَّهْ ومن يَبْعُد عن الاصل يذلّلِ

التخريج : مخطوطة كتاب الانس ــ الورقة ١٥٥
وهي من قصيدة وردت منها ابيات في الورقة ١٥٨ ومنها البيت الاول الوارد هنا .

●

وقال عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي :

١ ــ فمن كان ذا صاحبٍ مُفْرِحٍ فها انا لي صاحبٌ مُتْرِحُ
٢ ــ أَسَرَّ لي الغِشَّ في نفسه وأظْهَرَ لي انَّهُ يَنْصَحُ
٣ ــ فلمّا قتلتُ الذي عندَه يقيناً واوضَحَه الموضِحُ
٤ ــ نفرتُ به والجوادُ العتيقُ اذا رِيعَ يَعْزِمُ أو يَرْمَحُ
٥ ــ فَدُونَكَ فاجْمَحْ فكم جامحٍ أُمِرَّ فأصْبَحَ لا يَجْمَحُ

٦ ــ ودونك فاطرح فكم طامح كبا ، وهو في غرّبه يطّرح
٧ ــ اخذتَ الخسيسَ وبعتَ النفيس وانت بذاك وذا مسمح
٨ ــ فلا أنتَ تفلح فيما اخذتَ ولا ما تركت ولا تنجح
٩ ــ وليس لما أفسد الدهر منك ــ ولا ترج اصلاحَه ــ مفلح
١٠ــ سأعرضُ عنك رُلا انثني الى حيث أنتَ ولا ألمحُ
١١ــ وأرميك مني بسهم القلى فيقصدك السهم أو يجرح
١٢ــ فايّهما ما يكن لا تجد دموعي عليك له تنفتح
١٣ــ اذا لم يزل صاحب" يلتوي فقطع قرائنه أروح

التخريج : الورقة ٥٥ ــ كتاب الانس .

●

وقال عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي :

١ ــ اذا لم يكن للحبّ بُدّا تكلفُه ترامى ، وعاد اليُسر من أمره عُسْرا
٢ ــ وللحُبّ قدر" يصلح العيش عنده ويفسدُ طعمُ العيش إن جاوز القدرا

التخريج : مخطوطة كتاب الانس الورقة ٢٦ .

●

ومما يستدرك على القطعة رقم ٧ الواردة في الكتاب المنقود بيت رابع هو :

١ ــ فان كان ما تهوى قبلتَ وإن يكن سوى ذاك لم تَسْدُدْ عليك المذاهبا

التخريج : مخطوطة الانس الورقة ٢٦ .

●

وقال ابو الوليد الحارثي :

١ ــ فلأشربَنّ على تنادُم عهدِهم حَلَبَ الكُروم شرابَ غيرَ مُصَدَّدِ
٢ ــ من قهوةٍ كصفاءِ دمع مَشُوقَةٍ مرهاءَ تاركةٍ لكُحْلِ الاثمدِ
٣ ــ حَنَّتْ مكاتمةً وبين جُفونها رقراقُ دمعٍ سالَ أو فكأن قَدِ
٤ ــ رتخاءَ تحذرُه فترفعُ جفنَها فالدمعُ بين تَحدُّرٍ وتصَعُّدِ

التخريج : الصحيفة ٤٢٥ من كتاب « شرح مقصورة ابن دريد » لابن خالويه . تحقيق محمود جاسم محمد ــ رسالة ماجستير بالرونيو .

●

وقال عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي يصف الخال :

١ ــ كأنّــه نقطــة بمســكٍ لائحــةٌ في بيــاض عــاجِ

التخريج : مخطوطة المحب والمحبوب الورقة ١٢ب
ونضرة الاغريض في نصرة القريض ص ٤٢٨

●

وقال عبدالملك بن عبدالرحيم :

١ ــ الشــوقُ يــزدادُ كــلَّ يــومٍ اليــكِ ، والجســمُ في انتقــاص

التخريج : المنصف في نقد الشعر لابن وكيع التنيسي ص ٤٦٢ وص ٤١٤ . تحقيق د . محمد رضوان الداية .

●

ولابي الوليد الحارثي :

١ ــ رَيّةُ كأسٍ كأنّهــا دمعــةُ المعشــو ق مــن فــوق وجنــةٍ حمــراءِ
٢ ــ بنتُ عشــرٍ تحلّتْ من زينــة الدنيا محــلَّ النعيــم والســرّاءِ
٣ ــ قرنوهــا بالمــاءِ فامتعضــت منــهُ شماســاً كالحُــرّة العــذراءِ
٤ ــ قــد تعلّلتُهــا وقــد بردَ الليــلُ ومالــتْ مقــادمُ الجــوزاءِ

التخريج : شرح مقصورة ابن دريد لابن خالويه تحقيق محمود جاسم محمد ص ٤٣١ ــ رسالة ماجستير بالرونيو .

●

قال الحارثي :

١ ــ ما قلــتُ إلاّ الحــقَّ أعرفُــهُ أجِــدُ الدليــلَ عليــه في قلبــي
٢ ــ إنّا لنــا قلبــان مُــذْ خُلِقــا يتجــاودان بصــادق الحُــبِّ
٣ ــ يتهــاديان هــوىً سيجعلنــا أُحــدوثةً في الشــرق والغــربِ

التخريج : مخطوطة المحب والمحبوب الورقة ٢٦٣

●

قال الحارثي :

١ ــ خليلــيَّ انــي للثــريا لحاســدٌ وانّي على رَيْبِ الزمــان لواجــدُ
٢ ــ أيُجمع منهــا شــملُها وهي ســبعةٌ ويبعد من أحببتُــهُ وهو واحــدُ ؟!

التخريج : مخطوط جزائري مصورته بخزانتي ــ الورقة ٨٥ ب .

●

وقال عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي :

١ ــ يلقى الســيوفَ بوجهــهِ وبخــدّهِ ويُقيمُ هامَتَــه مقــامَ المِغْفَــرِ

التخريج : شرح المقصورة الدريدية لابن هشام اللخمي بتحقيق مهدي عبيد جاسم ــ ص ١٥٠ ــ رسالة ماجستير بالرونيو .

●

وقال الحارثي :

١ ــ إذا أنتَ لم تؤمن بما تصنعُ النــوى بأهل الهوى فافقــدْ حبيباً وجَــرِّبِ
٢ ــ تجدْ حــرقاتٍ يلذعُ القلبَ حــرُّها بأنضــجَ من كيِّ النضــا المُتَلَهِّبِ

التخريج : مخطوطــة المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للــري الرفاء الورقة ٧١ب . مخطوطة ليدن رقم ٥٥٩ .

●

وقال الحارثي :

١ ــ تعطّلْنَ إلاّ مــن محاســن أوجُــهٍ فَهُنَّ عــوارٍ في الصفــات عواطــلُ
٢ ــ كواسٍ عــوارٍ صــامتاتٍ نواطــقٍ بعفٍّ الحــديث باخــلاتٍ بــواذلُ
٣ ــ بَرَزْن عفافــاً واحتجبــنَ تســتُّراً وشِــيبَ بقــول الحقِّ منهنَّ باطلُ
٤ ــ فذو الحلم مُرتابٌ وذو الجهل طامعٌ وهُنَّ عن الفحشــاءِ حيــدٌ نواكلُ

التخريج : مخطوطة المحب والمحبوب ــ الورقة ٦٨ ب .

●

ثانيا : اوهام الهوامش :

قلت ابتداء ان الهوامش العلمية التي يصنعها المحقق يجب ان تتماز بالدقة والامانة العلميـــة والاستقصاء ، فهل توفر ذلك في هوامش الكتاب المنقود ؟ هذا ما نترك الجواب عليه الى نتيجـــة فحص تلك الهوامش .

١ ــ المقطعـــة ٣٣ وعدتها سبعـــة ابيـــات واولها :

شهر الصيام وإن عظمت حرمتـــه
شهر طويل بطيء السـير والحركه

قال عنها الاستاذ زكي انها للحارثي ، رغم انها نسبت في محاضرات الادباء وريحانة الالباء لابن الرومي . وادعى في هامش الصحيفة ٨٥ من كتابه انه لم يجدها في ديوان ابن الرومي ! . وهذا كلام مغاير للحقيقة ، فالابيات موجودة في ديوان ابن الرومي باختيار وتصنيف كامل الكيلاني ص ٧٧ . كما انها موجودة في ديوان ابن الرومي ــ طبعـة الدكتور حسين نصار ــ الجزء الخامس ص١٨٣٧ . وهي في ديوان ابن الرومي اتم واكمل إذ تقـع في عشرة ابيات ، فكيف يصح بعد هـذا قوله انه لم يجدها في ديوان الرومي ؟ وكيف يصح بعد هذا ترجيحه انها للحارثي ، مع انها توجـد مع ابيات مكملة لها في ديوان ابن الرومي ؟!

٢ ــ البيت رقم (٢٤) الوارد في الصحيفة ٦٦ ونصه :

فانـي إن افتـــك يفتـــك منـي
فـلا تسبق بـه علـق نفيـس

قال في تخريجـه انه في قانون البـلاغة ٤٤٨ (بلا عزو) . وهذا مخالف للدقة العلمية فالبيت ورد في قانون البلاغة معزوا للحارثي .

٣ ــ المقطعة رقم (٢) نقلها عن مصـدر واحد هو الظرائف واللطائف للثعالبي . وفي هذا المصدر الوحيد نسبت الابيات لشـاعر اسـمه (عبدالملك بن عبدالعزيز) ولم يلقب بالحارثـي . وشاعرنا اسم ابيه عبدالرحيم . فكان على المحقق التنبيه على ذلك والاشارة الى الاسم كما ورد في المصدر الوحيد الذي نقل عنه . لكنه اغفل ذلك خلافا للامانة العلمية .

٤ ــ في تخريج البيتين المرقمين ٤٤ ص ٩٥ جانب الصـواب إذ ذكر في الهامـش ما نصـه : (التخريج : مؤنس الوحيد ١٥٨ . محاضـرات الادباء ١/٢٤٤ وقد ورد في المصدرين : لم يكن ، وهو تحريف) . وهذا الكلام يوهم ان (مؤنـس الوحيد) مصدر مستقل ، فعجت الى فهـرس مصادر المحقق فوجدت ما نصه :

(٨٢ ــ مختصرات من كتاب مؤنس الوحيد في المحاضرات : ابو منصور عبدالملك بن محمـد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) نشره المستشرق غوستار فليفل بمدينة رينا (١٨٢٩م) . وهذا الكلام يجمع اوهاما عدة . فالكتاب طبع في فينا وليس في رينا ؛ وطبعه المستشرق غوستاف فلوغل وليس غوستار فليفل . واسم الكتاب الذي طبعه (مؤنـس الوحيد ونزهة المستفيد) وليس كما ذكر المحقق . وبعد هذا كله فان الكتاب ليس للثعالبي ، وانما للراغب الاصبهاني ، وهو ليس كتابا مستقلا عن محاضرات الادباء بل هو قطعة منه ؛ كما اكد ذلك بروكلمان ومحمود الجـادر ، وكمـا اكدنا ذلك في مقـدمة تحقيقنا لكتاب « الأنيـس في غرر التجنيـس » للثعالبي ص ٣٨١ . فكان على الاسـتاذ زكي ان يخرج البيتين على محاضرات الادباء فحسـب ، وان يتنبه الى ان (مؤنـس الوحيد) ليس كتابا مستقلا ، بل هو قطعة من محاضرات الراغب الاصبهاني .

وهذا كله يخالف الدقة العلمية .

٥ ــ المقطعة رقم ٢١ وعدتها سبعة ابيات ، ذكر في تخريجها ما يلي : حماسة ابي تمام بشرح المرزوقي ٢/٨٧٩ زهر الآداب ٢/٩٦٩ . ولم يذكر شيئا عن اختلاف رواية النص بين شرح المرزوقي وزهر الآداب . ومعنى ذلك ان النـص كامل في المصدرين دون اختلاف في الرواية . فهل كان هذا صحيحا ؟ . الجواب : كلا . عدة الابيات في زهر الآداب ستة ، والسابع ساقط فيها ــ ولم ينبـه المحقق عليه ــ ورواية عجز الاول في زهر الآداب : لـكنني سـعيد ، وروايته في شـرح المـرزوقي : بـكنني سعيد .

ثم يذكر مصدرا ثالثا للتخريج هو (مجموعة شـعرية مخطوطة ١٢٤) ! وهـذا كلام مرفوض علميا ، إذ ما اسم هذه المجموعة المخطوطة ، واين مظنة وجـودها ؛ وما رقمهـا في الخـزانة التي تحتجنها ؟

ومما نضيفه على هامشه هذا ، ان البيت السادس في المختار من شعر بشار ص ٣١ ورواية عجـزه : وجـدنا عظيمات اللهى والمآثر ، بدل : اصبنا عظيمات .. ونضيف ايضا ان البيت السابع

في « الصاهل والشاحج » ص ٢٩٣ ورواية صدره: فأسمعنا بالصمت رجع كلامنا . بدل : واسمعنا بالصمت رجع جوابه .

٦ ـ البيت رقم ١٣ ص ٥٨ ونصه :

فاننـــوا علينـا لا أبـا لأبيكـــم
باحســـاننا ، انّ الثناء هو الخلـد

خرّجه الاستاذ زكي كالآتي : عيون الاخبار ١٦١/٣ الاوائل ١٤ خزانة البغدادي ٣٧٨/١ .

وبالرجوع الى عيون الاخبار وجدنا البيت دون عزو . ولم يشر المحقق الى ذلك ، ورجعنا الى خزانة البغدادي ، فوجدنا البيت غير منسوب ورواية عجزه مختلفة ونصها :

« بافعالنا انّ الثناء هو الخلد » .

ولم يشر المحقق الى ان البيت غير معزو ، كما لم يشر الى اختلاف الرواية ثم رجعنا الى الاوائل للعسكري فوجدنا البيت دون عزو ايضا . والسؤال : اذا كانت مصادر التخريج بالاجماع التي ذكرها السيد زكي ذاكر لم تنسب البيت للحارثي ، فكيف ساغت له نسبة البيت للحارثي ، وكيف احال على مصادر لم تذكر شيئا عن الحارثي ولانسبت البيت له ؟ وهل يسوغ علميا مثل هذا ؟!

٧ ـ المقطعة ١٤ ص ٥٨ ـ ٥٩ وعدتها ثلاثة ابيات ، خرجها المحقق كالآتي :

(بهجة المجالس ٣٢٤/١ وفي العقد الفريد ٢٩/٥ وشرح المقامات ٧٢/١ (الاول والثالث فقط) وروي في العقد : سقاها الندى في عقب جنح من الدجى) . وبالرجوع لشرح المقامات ٧٢/١ وجدنا رواية الابيات مختلفة بالنص التالي :

رواية الاول : وما روضة دارية ... ثرى صعد

ورواية الثالث : بالنجاح مع الوعد

ولم نجد الابيات في العقد الفريد ٢٩/٥ بل كانت في ٤٢٩/٥ .

ورواية عجز الثاني وقد اغفلها الاستاذ زكي : بالكوكب السعد .

ورواية الثالث : بالنجاح مع الوعد واغفلها السيد زكي ايضا . ثم ان صاحب العقد نسبها لابن الحارثي ، وليس للحارثي . وقد اهمل محققنا الاشارة الى ذلك كله .

٨ ـ المقطعة ٧ ص ٥٥ ـ ٥٦ وهي في ثلاثة ابيات خرجها المحقق كالآتي :

« رسالة العزلة للخطابي ١٥١ (دون عزو) . محاضرات الادباء ١٩/٣ . بدائع السلك ٤٥٥/٢ »

واقول : ان رقم صحيفة رسالة العزلة مغلوط بالتأكيد ، فلقد طبع هذا الكتاب مرتين ، الاولى بمطبعة مصر في القاهرة سنة ١٩٣٧ في ١٠٤ صفحات . والثانية بالمطبعة السلفية في القاهرة سنة ١٣٨٥هـ في ٩٦ صحيفة . ففي كلتا الطبعتين لا توجد صحيفة برقم ١٥١ .

وقد رجعنا الى فهرس مصادر المحقق فلم نجد كتاب العزلة من بينها ، مما اكد لنا انه لم ير هذا الكتاب ، وانه نقل الشعر والهامش من مصدر آخر . وبالفعل وجدنا المصدر وهو كتاب بدائع السلك في طبائع الملك طبعة الدكتور علي النشار . فقد خرّج النشار الابيات المتقدمة في ج ٢ ص ٤٥٥ من كتابه ، وقد ذكر في الهامش رقم ٥٤٧ انها في العزلة ص ١٥١ ، وهو واهم في هذا . وقد رجعنا الى فهرس مصادره فوجدناه يذكر كتاب العزلة في ٥٢٩/٢ ولكنه لا يذكر ازاءها سوى عبارة (طبعة القاهرة) . وهكذا ثبت لنا بالدليل ان الخطأ الذي وقع فيه النشار ، تابعه عليه زكي ذاكر ، دون اعتداد بالامانة العلمية .

ولدى الرجوع الى محاضرات الادباء ١٩/٣ وجدنا المحقق قد اغفل ذكر اختلاف روايتها عن رواية النص الذي اثبته . رواية الثاني في المحاضرات ، من ظهر بغضة .

ورواية الثالث : ولا تنتبذ عنهم ولا تدن منهم .

اما بدائع السلك ٤٥٥/٢ فقد اورد الابيات دون عزو ، وقد اغفل السيد زكي الاشارة لذلك .

٩ ـ المقطعة رقم ٤٢ ص ٩٢ ـ ٩٤ قال المحقق في تخريجها انها في : بهجة المجالس ٥٦٣/١ (عدا السادس) .

قلت : وهو وهم ، فالابيات في بهجة المجالس ٥٦٢/١ـ٥٦٣ . واخطأ في قوله (عدا السادس) ، فالسادس موجود في بهجة المجالس على الصحيفة ٥٦٣ ونصه :

والناس اكيس من ان يمدحوا احدا
حتى يروا عنده آثار احسان

وقد اغفل المحقق اثبات هذا الاختلاف في الرواية ، فرواية البيت التي اثبتها هي :

« والناس اكيس من ان يمدحوا رجلا »

واستمر المحقق في تخريجاته فقال : الحلة السيراء ١٢٧/١ (عدا السادس ايضا) وهو كلام مغلوط من عدة وجوه . فالبيت السادس موجود في الحلة السيراء خلافا لما ذكر . وقد سقط من الحلة السيراء البيت الثالث من القطعة وهو :

يا اخت كندة ليس الرزق في يده
الرزق في يد من لو شاء اغناني

وفات المحقق ان ينبه عليه ، كما اغفل اثبات الاختلافات في الرواية بين النص كما اثبته وبين رواية الحلة السيراء للابيات وهي بالتفصيل الآتي :

١ ـ رواية الاول كما اثبتها المحقق :

يا اخت كندة عا في شرب عثمان
وازمعي لبني عوفٍ بهجران

ورواية الحلة السيراء للبيت :

يا اخت كندة جا في شرب عثمان
وازمعي لبني اودٍ بهجران

٢ ـ رواية عجز الثاني كما اثبتها المحقق :

كي تنتوي .

ورواية العجز في الحلة السيراء : كي تنتوي

٣ ـ رواية عجز الرابع كما اثبتها المحقق :

والخبز فيها له شانٌ من الشانِ

ورواية الحلة السيراء :

والخبز فيه له شان من الشان

ويمضي المحقق في تخريجاته فيقول : عيون الاخبار ٩٨/١ .

قلت : وهذا وهم فليس في الصحيفة المذكورة من الجزء المذكور شيءٌ من شعر الحارثي وانما هو على الصحيفة ١٥٩ من المجلد الثالث ، حيث ورد البيتان الخامس والسادس فقط . وقد غفل المحقق عن الاشارة الى انهما في المصدر المذكور لم ينسبا لعبدالملك الحارثي ، بل وردت نسبتهما (لبعض الحارثيين) . كما اغفل اثبات الاختلاف في رواية البيت السادس ، فرواية البيت كما اثبته المحقق في كتابه هو :

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا
حتى يروا عنده آثار احسان

ورواية البيت في عيون الاخبار :

والناس اكيس من ان يحمدوا احداً
حتى يروا قبله آثار احسان

ثم ذكر المحقق مصدراً آخر من مصادر تخريجه وهو : شرح المقامات ١١٢/٢ (٥ ، ٦) وهو هنا لم يذكر هل نسب البيتان في المرجع المذكور للحارثي ام لا ، وهل ثمة اختلاف في الرواية بين النص الذي اثبته والنص كما ورد في شرح المقامات . إذ ما فائدة ذكر مراجع التخريج إن لم تثبت الاختلافات .

واقول : ان البيتين لم ينسبا في شرح المقامات للحارثي ، وانما وردا دون عزو بالصيغة التالية : (وقال آخر وذكر المجّان) .

كما ان رواية البيتين في شرح المقامات تختلف عن روايتهما في الديوان المنقود ، ولم يشر المحقق الى شيء من هذا الاختلاف .

روايتهما في الديوان :

عثمان يعلم ان الحمد ذو ثمن
لكنه يشتهي حمداً بمجّانِ
والناس اكيس من ان يحمدوا رجلاً
حتى يروا عنده آثار احسانِ

وروايتهما في شرح المقامات ١١٢/٢ :

عثمان يعلم ان المدح ذو ثمنٍ
لكنه يشتهي مدحاً بمجّان
والناس اكيس من ان يمدحوا رجلاً
حتى يروا عنده آثار احسان

ويمضي المحقق في ذكر مراجع تخريجاته فيقول : وفيات الاعيان ٦٧/٦ (٤ ، ٥ ، ٧) . ولم يذكر اية طبعة من الوفيات ، فعجنا الى فهرس مصادره فرايناه يثبت فيها انه رجع الى طبعة الدكتور احسان عباس . وحين رجعنا الى هذه الطبعة لم نجد شعراً للحارثي على الصحيفة ٦٧ من الجزء السادس اطلاقا .

ما تفسير هذا ؟ تفسيره احد امرين : اما ان يكون قد نقل من هوامش الاغيار وهو امر ترفضه قواعد التحقيق العلمي ، او ان يكون قد رجع الى طبعة اخرى من الوفيات ونسي قيدها ، وهو امر يؤاخذ عليه علميا . رغم انه لا توجد طبعة اخرى من الوفيات فيها جزء سادس .

ثم اننا بحثنا عن الابيات في طبعة احسان عباس فوجدناها على الصحيفة ٧٠ من الجزء السابع . ثم اهتدينا الى مصدر الوهم الذي وقع فيه السيد زكي ، فقد نقل هذا الرقم المغلوط من هامش الجزء الاول ص ٥٢٦ من بهجة المجالس . اكثر من هذا فانه اغفل اثبات الخلاف في الرواية وفي اسم الشاعر : فالابيات نسبت في وفيات الاعيان الى عبدالملك بن عبدالحميد .

وورد صدر السادس برواية :

والناس اكيس من ان يحمدوا احدا

وفاته ايضا التنبيه الى ما اشار اليه احسان عباس في هامش الصحيفة ٧٠ من ان بيتين منها وردا في نفح الطيب ٥٨٠/٣ منسوبين للامير القاسم الاموي في اخيه عثمان ، وكذلك قال ابن حيان في المقتبس ص ٢٠١ بتحقيق الدكتور محمود مكي . وهو غلط نبّه عليه ابن الابار في الحلة السيراء .

ومضى المحقق في تخريجاته فذكر : نهاية الارب ١٠٨/٣ (٧ ؛ ٨) . ورجعت الى الكتاب المذكور بطبعته التي ذكرها المحقق فلم اجد للحارثي شعرا في الموضع المذكور . وايقنت ان مصدر وهمه هو نقله من هامش الصحيفة ٥٦٣ ج ١ من بهجة المجالس . ثم مضى في تخريجاته فقال :

(البيت السادس فقط في مفيد العلوم (للحارثي) ، وفي مجموعة شعرية مخطوطة ٥٢٠)

ونتسائل : اي منهج علمي يبيح له ان يذكر مصدر التخريج – وهو مفيد العلوم – دون ذكر رقم الصحيفة التي وقع فيها الشعر المخرّج ؟

ثم اي منهج علمي يسمح له بأن يذكر مصدر تخريج مخطوط دون ذكر اسمه او رقمه واسم المكتبة التي تضمّه ؟ .

وبعد فهذا الذي ذكرناه محاولة لفحص هوامش بعض النصوص ، وهي هوامش صنعها الاستاذ زكي ذاكر العاني . وقد اتضح ان جميع هذه الهوامش كانت مغلوطة او ناقصة او موهومة او منقولة عن الاغيار مثقلة بالوهم .

واذا كان الحال على هذا المنوال ، فكيف يسوغ لنا ان نثق بهذا العمل من الناحية العلمية ؟!

ثالثا : اخطاء في المنهج :

ومن الاخطاء المنهجية التي وقع فيها المحقق انه حين كان يظفر بنص للحارثي في مصدر قديم ، ثم يظفر بهذا النص بصيغة اطول واكمل منسوبا لشاعر آخر في ديوان صنعه احد معاصرينا ، كان يضع في الخطأ الكبير ، إذ ينقل النص الكامل المنسوب لشاعر اخر ويثبته في ديوان الحارثي ، رغم انّ احدا من القدامى لم ينسب النص بكامله للحارثي ، وانما نسبت له ابيات منه فقط .

المنهج العلمي كان يوجب ان يثبت المحقق الابيات المنسوبة للحارثي في المصادر القديمة فقط ، واذا كانت هذه الابيات من قصيدة منسوبة لشاعر اخر في مصادر اخرى ، يكتفي بالاشارة الى ان الابيات من قصيدة عدتها كذا بيتا منسوبة لشاعر آخر . اما ان ينقل الابيات الاخرى المنسوبة لذلك الشاعر الآخر ، ويوردها في ديوان الحارثي فهو منهج مرفوض ، لسبب واضح وهو انّ احدا من القدامى لم ينسب كل القصيدة للحارثي ، فما يجب اثباته هو الابيات التي وردت منسوبة للحارثي في مصدر قديم . مثال ذلك : المقطعة (٣٠) ص ٨٣ وعدتها خمسة ابيات . نسبت الابيات الاربعة الاولى منها الى عبدالله بن موسى الهادي في الاغاني ونهاية الارب ومختصر التاريخ .

ونسبت الابيات ١ ، ٢ ، ٥ منها لمحمد بن ابي محمد اليزيدي في معجم الشعراء . ونسب البيتان ١ و ٢ منها لابن محمد المرزوي في الظرائف واللطائف . ونسب البيتان الاول والثاني منها في محاضرات الادباء للحارثي .

فلا يسوغ علميا ان نضع المقطعة بابياتها الخمسة في ديوان الحارثي ، إذ لم ينسبها للحارثي كاملة مصدرٌ قديم . وانما للمحقق ان يثبت البيتين الاول والثاني فقط الذين نسبا للحارثي في محاضرات الراغب الاصبهاني . ويشير في هامشه للتدافع الوارد في نسبتهما .

ومثال آخر في المقطعة ٣٢ ص ٨٤ – ٨٥ وعدتها خمسة ابيات .

ربيع الابرار نسب الابيات ١ – ٣ منها للحارثي . اما ديوان مجنون ليلى فقد نسب القطعة كاملة لمجنون ليلى . والمنهج العلمي يقتضي في مثل هذه الحالة ان تثبت في ديوان الحارثي الابيات الثلاثة الاولى فقط المنسوبة له في مصدر قديم ، دون البيتين الرابع والخامس .

ومثال ذلك ايضا ، المقطعة رقم ٤١ ص ٩٢ – ٩٣ وعدتها ثلاثة ابيات .

الابيات الثلاثة نسبها مصنف مخطوطة في طبقات الشعراء كان حيا في النصف الاول من القرن السابع الهجري ، لدعبل بن علي الخزاعي . وورد البيتان الاول والثاني في التمثيل والمحاضرة وفي اسرار البلاغة بلا عزو .

وورد الثالث منها فقط معزواً للحارثي في نهاية الارب . فليس هناك مرجع قديم نسب المقطعة كاملة للحارثي ، فكان على المحقق ابتداء مراجعة ديوان دعبل للتثبت من وجودها في ديوانه، فان لم يجدها اثبت البيت الثالث لوحده في المتدافع من شعر الحارثي .

ومن الاخطاء المنهجية ان المحقق جانب منهجاً محمودا سارت عليه جمهرة من المحققين من ناشري الاشعار في عصرنا هذا ، يتلخص في ضرورة الفصل بين ما ثبتت نسبته للشاعر ، وبين المنسوب له ولغيره .

فثمة قصائد ومقطعات عدة في الكتاب المنقود كان يجب وضعها تحت باب (المنسوب له ولغيره) ومنها :

البيتان رقم (٦) وقد وردا في ديوان ابي فراس ايضا .

والمقطعة رقم (١٦) وهي متدافعة بينه وبين عبيد الله بن عبدالله بن طاهر .

والقصيدة رقم (١٩) وقد نسبت لعديد من الشعراء من بينهم : سوار بن عبدالله ومجنون ليلى وابو حية النميري واضطربت المصادر في نسبتها اضطرابا كبيرا .

والمقطعة رقم (٢٦) المنسوبة له ولبكر بن النطاح ولبشار وللحارثي النجاشي .

والمقطعة رقم (٣٠) وقد نسبت لعبدالله بن موسى ولابن محمد المروزي ولمحمد بن ابي محمد اليزيدي .

والمقطعة رقم (٣٢) وقد نسبت له ولمجنون ليلى .

والقصيدة رقم (٣٣) وقد وردت في ديوان ابن الرومي .

والمقطعة (٤١) واحد ابياتها متدافع بينه وبين دعبل الخزاعي .

ومنها القصيدة اللامية رقم (٣٦) المتدافعة بينه وبين السموال .

رابعا : اوهام في ضبط النصوص وفي قراءتها وفي عروضها :

ليس يخفى ان ضبط النص يحتل مكانة مهمة في علم تحقيق المخطوطات ؛ وعلى الرغم من ان السيد زكي ذاكر لم يكن يحقق مخطوطا وانما كان جامعاً لما في الكتب المطبوعة ومبوباً ودارسا ؛ باستثناء نص واحد نقله من كتاب مخطوط . إلا انه وقع في اوهام شنيعة في ضبط النصوص المطبوعة التي جمعها ، وفي اوهام اشنع في قراءة النص المخطوط الذي اشرنا اليه .

اما المقطعة التي نقلها عن مخطوط فهي المقطعة رقم ١٨ ص ٦١ ؛ وقد اثبت ابياتها بالشكل التالي :

١ ــ رايت الرزق لا يسـ ـك
ب بالعنـ ـف ولا النكـ ـر

٢ ــ ولا بالعقـ ـل والديـ ـن
ولا بالجـ ـاه والغـ ـدر

٣ ــ ولا بالكـ ـف الامثـ ـ
ل اهـل الفضـ ـل والذكر

واقول : صواب البيت الاول : رايت الرزق لا يكسب .

وصواب عجز الثاني : ولا بالجاه والقدر .

وصواب صدر الثالث : ولا بالسلف الامثل .

ومن الشواهد على عدم قدرته على فهم النص ووزنه عروضيا ، المقطعة رقم ٣٩ ص ٩١ ــ ٩٢ من كتابه . فقد اثبت بيتيها الاولين بالشكل التالي :

ان سليما وان ظرفا
وان جريباله شمولا

نعيم دنيا وكل دنيا
مصيرها عنه ان تزولا

وعلق على البيت الاول بما نصه: « ويلاحظ ان البيت الاول محرف إذ انه مضطرب الوزن !! »

وهذا الكلام يضم جملة اخطاء ، فصواب رواية البيت الاول :

إنّ سُلَيْمىً وإنْ ظرفا
وانّ جِرِيالةَ شمولا

والذي اوقعه في الخطأ هو ان بعض النساخ القدماء حاولوا التفرقة بين الياء المنطرفة والالف المقصورة،

فرسموا كلّ الف وردت في اواخر الكلمات ، ألفاً قائمة . ف (سليمى) كتبوها (سـليما) ثم أنّ ساحبنا اهمل نقط التاء المربوطة في كلمة (جريالة) واثبتها (جريالة) خلافاً للمصدر الذي نقل عنه . وهكذا وقف حائراً امام معنى البيت ، فظنّه محرّفاً وظنّه مضطرب الوزن . ولا تحريف في البيت ولا اضطراب في وزنه ، وانما هو سوء فهم المحقق للنص وسوء قراءته له . فمعنى البيتين هو : ان سليمى ــ وهي رمز المراة ــ والظرف والخمرة هي نعيم الدنيا ، وكل دنيا مصيرها الزوال .

وهذا المعنى ليس جديداً على الشعر العربي، فمن قبل قال طرفة(١) :

ولولا ثلاث هنّ من حاجة الفتى
وجدّك لم أحفل متى قام عوّدي
فمنهنّ سبقي العاذلات بشربة
كميت متى ما تعلّ بالماء تزبد
وكرّي اذا نادى المضاف محنّباً
كسيد الغضا نبهتّه المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجبٌ
ببهكنةٍ تحت الطراف المعمّدِ

وقال من بعده شاعر آخر :

ولولا ثلاثٍ هنّ من عيشة الفتى
وحقّك لم احفل متى قام رامسُ
فمنهنّ سبق العاذلات بشربة
كانّ اخاها وهو يقظان ناعسُ
ومنهنّ تحريك الكميت عنانه
إذا ابتدر النهبَ البعيدَ الفوارسُ
ومنهنّ تجريدُ الأوانس كالدمى
إذا ابتزّ عن اكفالهنّ الملابسُ

فعيشة الفتى عند عاذلي الشاعرين كانت تدور حول ثلاثة رموز : الفروسية ــ المراة ــ الخمرة . ولأمرٍ ما ، وحّد العربيّ ــ وهو موحّد بطبعه ــ هذه الرموز الثلاثة في رمز واحد ، فاسم الخمرة عنده (كميت) ، واسم الحصان (كميت) ، وكنّى عن المراة بالمهرة ، وهي انثى الكميت ؛ فكانّ لفظة (كميت) جمعت عند العربي كلّ ملذات الدنيا .

امّا قول السيد زكي بانّ البيت مضطرب الوزن ، وان القصيدة من بحر الرجز ، فهو جهل بقواعد العروض . فالبيت من مخلع البسيط ، وتقطيعه كالاتي :

إنّ نّ سلمى / ما وزنْ / نّ فارتنن
وإنْ نّ جرْ / بالتّنْ / شمولا
مفتعلن / فاعلن / فعولن
متفعلن / فاعلن / فعولن

و (مفتعلن) اصله مستعلن ، فيه طي ، وهو سقوط الحرف الرابع من مستفعلن ؛ فنقلت التفعيلة الى مفتعلن .

واما (متفعلن) التي في عجز البيت ، فاصلها مستفعلن ، وفيها خبن لاسقاط الثاني الساكن وهو السين .

فبيت الحارثي اذن موزون وزناً صحيحا ؛ وليس مختل الوزن كما زعم المحقق ؛ وليس فيه تحريف - وهو من مخلع البسيط وليس من الرجز كما تصور المحقق . اما الاخطاء في ضبط النصّ فكثيرة ، ونكتفي بالتمثيل عليها دون الحصر ، فمن ذلك : البيت الثالث من المقطعة ٣٨ ص ٩١ ونصه :

اذا اردت فرحةً اخاها
مالت الى ترحةٍ بديلا

فصدر البيت بشكله هذا مختل الوزن ، وصوابه :

اذا ارتْ فرحةً اخاها

والبيت الثامن من المقطعة ٤٢ ص ٩٤ ونصه :

واسلخ على كل عثمانٍ مررتّ به
الاّ الخليفةِ عثمانِ بن عفانِ

وهو خطأ صوابه : الاّ الخليفةَ عثمانَ

والبيت السابع من المقطعة ٢١ ص ٦٥ ونصّ صدره :

واسمعنا بالصمت رجعَ جوابه

وصوابه : واسمعنا بالصمت رجعَ جوابه

والبيت الوارد في الصحيفة ١٦ ونصه :

اذا كنتَ ملنجيّاً مسيئاً ومحسناً
فغشيان ما تهوى من الامر اكيسُ

وصوابه : اذا كنت ملنجيّاً ؛ بفتح الميم ، فغشيان ، بكسر الغين .

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٨ ــ ٢٩ .

والبيت الاول من المقطعة (١٩) ص ٦١ اتبعه بالنص التالي :

سلبتِ عظامي لحمها فتركتها
مجردةً تضحي اليك وتخضر

وقوله : تضحي ، خطأ . صوابه : تضحى

قال القالي في اماليه ١٦٢/١ : مُعَرَّقةً تضحى .

وقال المرزوقي في شرحه ص ١٤٢٥ : مجرّدةً تضحى .

وقال العبيدي في شرح المضنون به ص ٢٥٤ : تضحى فهي بفتح التاء وفتح الحاء وآخرها الف مقصورة . وسوى ذلك كثير ، وانما اردنا التمثيل والتدليل لا الاستقصاء والحصر .

خامساً : رأيٌ في اللامية :

عقد المحقق فصلا من كتابه من ص ٤٠ــ٥٠ للحديث عن اللامية عنوانه (لامية الحارثي المنسوبة خطأ الى السموال) . ومع ان جلّ ما ساقه من ادلة يرجع فضل الريادة فيه الى المرحوم خليل مردم رئيس المجمع العلمي بدمشق في مقاله المذكور سابقا ، الا ان الخليل كان متزنا ، فلم يتجهّل القدماء ولم يتهم البكري صاحب السمط وابن قتيبة بالتخبط وكثرة الخطأ !! كما صنع السيد زكي ذاكر . كما ان العلامة مردم لم يجزم بان اللامية كلها للحارثي ، في حين جزم السيد زكي بانها للحارثي .

لقد استعرض الاستاذ زكي آراء المصنفين القدامى في اللامية بما خلاصته :

١ ــ ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في عيون الاخبار وفي الشعر والشعراء نسب بيتين منها للراجز دكين .

٢ ــ محمد بن داود الاصفهاني (ت ٢٩٦هـ) في الزهرة اورد ١٦ بيتا منها ونسبها للسموال او عبدالملك الحارثي .

٣ ــ ابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ) في عيار الشعر اورد ١٥ بيتا ونسبها للحارثي .

٤ ــ ابو بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ) في اخبار ابي تمام نسب ثلاثة ابيات منها للحارثي .

٥ ــ ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في شرح مشكل ابيات الحماسة نسب ابيات منها للحارثي او السموال .

٦ ــ المرزوقي (ت ٤٢١هـ) في شرح الحماسة ، اورد بعضها وقال انها للحارثي او السموال .

٧ ــ الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في مخطوطة لب الآداب نسب بيتين من القصيدة للحارثي ونسب بيتاً منها للحارثي في (الاقتباس) .

٨ ــ ابو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) في سمط اللآلي نسبها لعبدالله بن عبدالرحمن او ابن عبدالرحيم الازدي او السموال .

٩ ــ الراغب الاصبهاني (ت ٥٠٢هـ) في محاضرات الادباء نسب بيتين منها للحارثي .

١٠ــ عبدالوهاب الزنجاني (من القرن السابع) في المضنون به على غير اهله نسب بضعة ابيات منها للحارثي او السموال .

١١ــ صدر الدين بن ابي الفرج البصري (ت ٦٥٩هـ) في الحماسة البصرية اورد بيتا منها ونسبه للسموال او الحارثي .

١٢ــ ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) في تاهيل الغريب اورد ١٣ بيتا منها ونسبها للحارثي او السموال .

١٣ــ العبيدي (من القرن الثامن) في التذكرة السعدية اورد ٢٢ بيتا منها ونسبها للسموال او الحارثي .

١٤ــ السيوطي (ت ٩١١هـ) في شرح شواهد مغني اللبيب اورد ٢٣ بيتا منها وقال : هي للسموال او ابنه شريح او دكين وقيل عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي وقيل الجلاح الحارثي .

١٥ــ ابن معصوم (ت ١١٢٠هـ) في انوار الربيع نسبها للحارثي او السموال .

١٦ــ ديوان السموال برواية نفطويه (ت ٣٢٣هـ) انها ترى ايضا لعبدالملك الحارثي والعبارة مكتوبة بخط الحسن بن محمد الصفاني .

وخلاصة هذا : انّ احد عشر مصدراً قديما نسب القصيدة للسموال او الحارثي . ومصدر واحد نسبها لدكين الراجز . واربعة مصادر فقط نسبت ابيات منها للحارثي لوحده . وقد استند السيد زكي الى هذه المصادر الاربعة فجزم بان اللامية كلها للحارثي . وهذا الرأي مرجوح في نظري ، اذ لو دققنا اسماء الذين نسبوا ابياتا من اللامية للحارثي لوحده لوجدنا :

أ ــ انّ ابن طباطبا ، شاعر وناقد وليس راوية ولا مؤرخا للادب ، فرايه في عزو ١٥ بيتا من اللامية للحارثي لوحده موضع نظر . فلقد عزا ابياتا في كتابه « عيار الشعر » ص ٧٧ لابي الحسين محمد بن احمد بن يحيى الكاتب ، وهي ابيات معروفة للناشىء الاكبر ، فنبّه ابو حيان التوحيدي على وهمه في البصائر والذخائر ١٢٠/٢ فقال ما نصه بعد ان اورد الابيات المذكورة منسوبة للناشىء الاكبر « هذه الابيات رواها صاحب عيار الشعر لفلان الهمذاني ، والصحيح ما تقدم ذكره » .

ابن طباطبا ليس حجة في عزو الشعر اذن ، والدليل قائم في كتابه .

٢ ــ ولقد نسب الثعالبي ثلاثة ابيات من اللامية في بعض كتبه للحارثي ، ونسب الراغب الاصبهاني بيتين منها له ، كما نسب الصولي للحارثي ثلاثة ابيات منها . لكن اي واحد من هؤلاء الثلاثة لم ينسب اللامية كاملة للحارثي لوحده .

ولمّا كانت الموازنة لا تتم الاّ باستعراض اقوال القدامى الذين نسبوا اللامية او بعض ابياتها للسموأل لوحده ، وهو ما اغفله الاستاذ زكي في كتابه ، فقد قمت بمحاولة لاستقصائهم بهدف التوصل الى الراي الراجح او الكفة الراجحة ، فوجدت القصيدة او ابياتا منها قد نسبت في ثلاثة وعشرين مرجعا للسموأل لوحده ، بالتفصيل التالي :

١ ــ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في البيان والتبيين ١٨٥/٣ ــ ١٨٦ نسب سبعة ابيات منها للسموأل .

٢ ــ ابن عبد ربه (ت ٣٢٧هـ) في العقد الفريد ٢٤٨/١ ــ ٢٤٩ اورد ١٢ بيتا منها منسوبة للسموأل كما اورد بيتين منها للسموأل في ١٠١/١ وبيتين آخرين في ٢٨٠/١ منسوبين للسموأل .

٣ ــ قدامة (ت ٣٣٧) في نقد الشعر ٢٢٠ــ٢٢١ نسب للسموأل ١١ بيتاً منها .

٤ ــ ابو الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٥هـ) في الاغاني ٣٠٢/٦ نسب اربعة ابيات منها للسموأل .

٥ ــ القالي (ت ٣٥٦هـ) في الامالي ٢٦٩/١ ــ ٢٧٠ قال ما نصه : « قال ابو علي : وقرات على ابي بكر للسموأل بن عادياء اليهودي » واورد القصيدة .

وابو بكر هذا هو احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد آخر من انتهت اليه الرياسة بمدينة السلام ، وكان واحد عصره غير مدافع توفي سنة ٣٢٤هـ .

٦ ــ ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) نسب بيتا منها للسموأل في شرحه لمقصورة ابن دريد .

٧ ــ الحاتمي (ت ٣٨٨هـ) في حلية المحاضرة ٦٢/١ نسب بيتين منها للسموأل .

٨ ــ ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في ديوان المعاني ٨٣/١ قال ما نصه : « واحتج السموأل لقلة العدد فاحسن » ثم اورد ثلاثة ابيات من القصيدة ، حتى قال : وهذه القصيدة في الافتخار ليس لها نظير وانما تركت ايرادها كلها لشهرتها . وفي كتاب الصناعتين نسب ابياتا منها للسموأل في المواضع التالية : ص ١١١ ، ١٥٠ ، ٢٠٦ ، ٤١٥ ، ٤٢١ ، ٤٥٤ .

٩ ــ الحصري (ت ٤٥٣هـ) في زهر الاداب ص ٩٦٨ نسب بيتا منها للسموأل .

١٠ــ ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) في العمدة ٣٩/٢ نسب بيتين منها للسموأل وقال : هو اول من تطق بالاستطراد ، ونسب بيتا آخر للسموأل في ١٨٣/٢ .

١١ــ ابن سيده الاندلسي (ت ٤٥٨هـ) في شرح مشكل شعر المتنبي ص ٢١٤ نسب بيتا منها للسموأل .

١٢ــ ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) في المثلث ص ١٠٩ نسب بيتا منها للسموأل .

١٣ــ النويري (ت ٧٣٣هـ) في نهاية الارب ٢٠١/٣ ــ ٢٠٢ نسب ٢١ بيتاً منها للسموأل .

١٤ــ يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ) في انطراز ١٧/٣ نسب بيتاً منها للسموأل .

١٥ــ ابن هشام (ت ٧٦١هـ) في مغني اللبيب ١٩٦ نسب بيتاً منها للسموأل .

١٦ــ السجلماسي (من القرن الثامن) في المنزع البديع ص ٤٥٨ نسب بيتين منها للسموأل .

١٧ــ القلقشندي (ت ٨٢١هـ) في صبح الاعشى ٢١٨/٢ نسب ثمانية ابيات منها للسموأل ونسب بيتاً آخر للسموأل في ٢٧٣/٢ .

١٨ــ الابشيهي (ت ٨٥٠هـ) في المستطرف

١٢٢/١ ـ ١٣٣ نسب عشرين بيتا منها للسموال .

١٩ـ الاشموني (ت ٩٠٠هـ) في شرحه على الفية ابن مالك ٢٣٢/١ و ١٤/٣ نسب ابياتا منها للسموءل .

٢٠ـ السيوطي (ت ٩١١هـ) في همع الهوامع ٦٢/١ و ٥٩/٢ نسب ابياتاً منها للسموءل

٢١ـ العباسي (ت ٩٦٣هـ) في معاهد التنصيص ١٢٩/١ ـ ١٣٠ نسب ١٦ بيتاً منها للسموءل .

٢٢ـ ديوان السموال بشرح نفطويه المتوفى سنة ٣٢٣هـ ـ طبعة لويس شيخو ـ بيروت ١٩٠٩ وقد نسب القصيدة للسموال .

وهذا ينتهي بنا الى ان القدامى الذين نسبوا القصيدة او بعضها الى السموال لوحده يزيدون اضعافا مضاعفة على من نسبها للحارثي لوحده ، وان اقدم الرواة وهو الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ نسبها للسموال .

غير ان الذي يقطع كل شك في ان بعض القصيدة للسموال ؛ هو الخبر الذي اورده ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢٤٨/١ ـ ٢٤٩ وهذا نصه :

« وقال عبدالله بن مالك الخزاعي : دخلت على امير المؤمنين المهدي وعنده ابنٌ داب وهو ينشد قول الشماخ : واورد اربعة ابيات .... الى ان قال : قال فانشدني . فانشدته قول السموال :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميلُ »

واورد منها ١٢ بيتا . الى آخر الخبر .

فهذه الابيات انشدت منسوبة للسموءل في مجلس الخليفة المهدي الذي ولي الخلافة من (١٥٨ ـ ١٦٨هـ) ؛ اي انّ نسبتها للسموءل كانت معروفة في وقت مبكر (اواسط القرن الثاني الهجري) ، في الوقت الذي لم يكن الحارثي قد برز في دنيا القريض .

وحين نفحص القصيدة من الداخل نجد ما يعزز نسبة بعض ابياتها للسموال . مثل :

وقائلة ما بال اسرة عاديا
تشازى وفيها قلة وخمول

فاسرة عاديا هي اسرة السموءل . وقد اورده السيوطي في شرح شواهد المغني ص ٥٣٢ ومثل :

هو الابلق الفرد الذي سار ذكره
يسز على من رامه ويطول

ذكره التبريزي في شرح الحماسة ٥٧/١ ، ومعلوم ان الابلق الفرد هو حصن السموال . امّا ما اثاره القائلون بانها للحارثي وحده ، واستنادهم الى امرين :

الاول : ان عبارة (مات حتف انفه) اسلامية ، والسموال جاهلي . فالرد عليها ان هذا البيت ورد في ديوان السموال برواية اخرى هي : وما مات منا سيد في فراشه .

والثاني : قولهم بان بيت الشاعر :

فان بني الديان قطب لقومهم
تدور رحاهم حولهم وتجول

يؤكد نسبة القصيدة للحارثي لان بني الديان هم قوم الحارثي . وهو راي مردود لانه يؤكد نسبة هذا البيت لحارثي وليس نسبة القصيدة كلها . وهذا ما نبّه عليه ابو محمد الاعرابي المعروف بالاسود الغندجاني (والذي كان حياً سنة ٤٣٠هـ) في رده على التمري . كما ان هذا البيت لا وجود له في ديوان السموال .

الادلة الداخلية تؤكد نسبة بعض الابيات للسموءل ، كما تؤكد نسبة ابيات اخرى للحارثي، فما وجه الصواب في الامر ؟!

اعتقد ان تداخلاً جرى بين قصيدة لامية للسموال واخرى لامية للحارثي لاتفاقهما في الغرض والوزن والردي والقافية . ومثل هذا التداخل الذي وقع فيه الرواة قديماً له نظائر في ديوان الشعر العربي ، ومثاله قصيدة الراعي النميري التي اولها :

الا اسلمي اليوم ذات الطوق والعاجِ
والدلّ والنظر الساتنس الساجي

(انظر ديوانه طبعة المجمع العلمي العراقي ص ١١٨ ـ ١٢٣ بتحقيق د . نوري القيسي وهلال ناجي) فقد وردت فيها ستة ابيات هي :

ما زال يفتحُ ابواباً ويغلقها
بعدي ، ويفتح بابا بعد ارتاج

حتى أضاءَ سراجَ دولتهِ قمر
حمر الانامل حور طرفها ساجي
يضحكن البهو والنثات عن بَرَدٍ
تكشف البرق عن ذي لجّةٍ داجٍ
كأنّما نظرت نحوي بأعينها
عين الصريمة او غزلان فرتاجِ
يا نصفها ايلة حتى تخوّنها
صوتُ منادٍ بأعلى الصبح سحّاج
لمّا دعا الدعوة الاولى فاسمعني
اخذتُ برديَ واستمررتُ ادراجي

هذه الابيات الستة اوردها الآمدي في المؤتلف والمختلف ص ١٧٧ منسوبة للراعي خليفة ابن بشير بن عمير من بني عدي بن جناب نقلا عن السكري ، وقال عنها ما نصه : « وهي ابيات تدخل في قصيدة الراعي النميري التي على وزنها لاتفاق الاسمين والقصيدتين » .

فتداخل القصائد المتشابهة الغرض والوزن والروي ، معروفٌ منذ القديم ، وهو التفسير المنطقي لهذا التدافع الكبير في نسبة القصيدة .

ومن هذا المنطلق فان ما اكده الاستاذ زكي ذاكر من كون القصيدة للحارثي وحده ، امرٌ مردود بالحجة وبالمنطق وبتاريخ الشعر العربي . فاللامية للسموال وللحارثي معا ، وهي وليدة تداخل بين قصيدتين لهما متفقتين وزنا وغرضا وقافية ورويا .

امّا ما اثاره الكاتب من ان السموال يهودي ، واليهود اهل صياغة وتجارة وزراعة ، ولا صلة لهم بالحروب والفروسية ، وان القصيدة لا تمثل حياة السموال ، ولا تصور واقع قومه . فكلام لا صلة له بالبحث العلمي . اليهودية دين وليست انتماءً قوميا ، ولهذا اعتنق الديانة اليهودية افراد من شعوب مختلفة ، ومن بينهم افراد عرب . ولم يكن السموءل صائغا ولا تاجرا ، لقد كان عربيا من غسان ـ القبيلة القحطانية الشهيرة ـ وكان على حدّ تعبير نفطويه الازدي في شرحه لديوانه (عظيم الخطر في قومه) ، وتيماء التي يسكنها من اقصى جنوب بادية الشام ، وغسان في عصره تسيطر على الشام كلها ويحكمها الامراء الغساسنة فلا بدع ان تكون له مكانة كبيرة في زمنهم . ان هذه المكانة كانت من الرسوخ بحيث ورثها ابنه (شريح) ، يؤكد ذلك الاعشى الكبير في استنجاده به حين وقع في اسر الحارث بن شمر الغساني ، فقال من قصيدة شهيرة في ديوانه :

« شريح » لا تتركنّي بعد ما علقت
حبالك اليوم بعد الله اظفاري

حتى قال :

كالغيث ما استمطروه جاد وابله
وفي الهزاهز كالمستأسد الضاري

وقد استطاع شريح ان ينقذ الاعشى وان يجيره . فاذا كان شريح بن السموأل « في الهزاهز كالمستأسد الضاري » ، فلماذا لا يكون ابوه مثله ؟ وما علاقة اليهودية بالامر ؟

سادسا : حول الفترة التي عاش فيها الحارثي :

اثنى الحارثي على معن بن زائدة الشيباني ، وهجا روح بن حاتم المهلبي إذ قال :

بنو عمٍّ « رَوْحٍ » خلطُ مسكٍ وعنبرٍ
« وروحٌ » منهنّ ريحهُ ريحُ جوْرَبِ
فإنّ بنكَ « معنَ » زانَ شيبانَ كلّها
فقد شانَ « روحٌ » امسِ آلَ المهلّبِ

ومعن توفي سنة ١٥١هـ ، وروح توفي سنة ١٧٤هـ(٢) . والمصادر تؤكد ان الحارثي سجن في زمن الخليفة هارون الرشيد الذي ولي الخلافة سنة ١٧٠هـ وتوفي سنة ١٩٣هـ .

اننا يمكن ان نستنتج السبب الذي من اجله سجن الرشيدُ عبدالملك الحارثي فلقد كان روح بن حاتم المهلبي واليا على فلسطين قبل عام ١٧١هـ .

« قال روح : كنت عاملاً على فلسطين ، فاحضرني الرشيد فوصلتُ ، وقد بلغه موت اخي يزيد ، فقال : احسنَ الله عزاءك في اخيك ، وقد وليتك مكانه لتحفظ صنائعه ومواليه(٣) » .

---

(٢) انظر اخبار روح بن حاتم المهلبي في تاريخ الطبري ٤٥٢/٧ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ ، ٥١٢ ، ٥١٢ ، ١١٧/٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٢٠٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ وفي الكامل لابن الاثير ١١٢/٦ . وفي الاستقصا ١٢٤/١ والبيان المغرب ٨٤/١

(٣) الكامل لابن الاثير ١١٣/٦ حوادث عام ١٧١هـ ، ويزيد ابن حاتم المهلبي كان واليا على افريقية وتوفي في القيروان .

وكان بنو الحارث بن كعب يسكنون جنوبي بلاد الشام وشمال شرقي فلسطين في منطقة اللجون ، وبنو الحارث هؤلاء من اشد بطون مذحج مراسا واكثرها بأسا ، وكان بنو الديان اسرة عبدالملك بيت الرئاسة في بني الحارث ، ولقد بلغ من مكانتهم بين عرب اليمن ان كانت لهم ربّة (كعبة) بنجران يعظّمها الناس ، ولقد كانت الامارة الحارثية معروفة في فلسطين رغم تطاول القرون وظل الحارثيون حكام جنين واللجون وما والاها من البلاد الى ان خرج الحكم من ايديهم عام ١٠٨٨هـ(٤) وارجح ان احداث الصراع القبلي بين القيسية واليمانية ، دفعت الوالي الى الوقوف بحزم في وجه مثل هذه العصبيات ، لاقرار سلطة الدولة ، فلم يذعن لسلطة الوالي لهجاء اوجع الهجاء . لكنه لم يهج الأزد قبيلة « روح » ، بل استلّه منهم استلالا عجيبا ، لانهم يمانون ايضا .

واصل تلك المنجهية القبلية ، وهذا الهجو ، كانا وراء القبض على عبدالملك الحارثي وزجّه في سجن الرشيد .

ان مثل هذا الشعر في متانته وجزالته لا يمكن ان ينظمه شاعر دون الثلاثين من عمره ، وإذا عرفنا ان ولاية روح على فلسطين كانت عام ١٧٠هـ ، فان هجاء الحارثي له موافق لهذا التاريخ . وبالتالي فان ولادة الحارثي تكون قبل عام ١٤٠هـ في اقل الاحوال .

سابعا : اوهام المؤلف في ترجمة الحارثي :

رسم الباحث للحارثي صورة كزة نابية مثيرة للرثاء والسخرية معا . فهو اعور قبيح الوجه ! وهو اصم ! وهو متلجلج متردد في كلامه ! وهو مشؤوم على كلّ من اتصل به !! ثم ذهب الى ابعد من هذا فقال : ان للحارثي بيت شعر في المصاب بالعيوب هو :

دموج برجليه وقوع بصدره
عضوض بفيه طامع متخبّط

ورجّح ان الشاعر قد عنى به نفسه ؛ فهو مصاب باكثر من عيب بدني(٥) ومثل هذا الكلام ، وما اورده الكاتب في ترجمته من اوهام ، يشكل سلسلة من الاخطاء بالتفصيل التالي :

١ ـ الصواب ان البيت المذكور في الراجح من قصيدة طائية هجا فيها بعض ذوي قرباه واولها :

لئن كنتَ ان ساذ ابن عمك ساخطا
تكثّر على ما قد أرى متسخّطا

فالشاعر يهجو بذلك البيت شخصا ، ولا يصف نفسه .

٢ ـ عبدالملك الحارثي لم يكن اعور ولا قبيح الوجه : فالاعور المقبح الوجه الذي وفد على حلوان سنة ٢٢٢هـ ، ايام كان علي بن الجهم على مظالمها وابن المدبّر يتولاها ، فتنائم منه ابن الجهم وهجاه ، هو رجل آخر لا تجمعه بشاعرنا سوى سلة القبيلة الواحدة .

وفي عام ٢٢٢هـ كان عبدالملك ـ إن كان قد بقي حيا ـ قد جاوز التسعين من عمره ، فكيف يتسنى له وهو في جبال فلسطين التردد على حلوان ، وهي كل حدود فارس ، وهو في مثل هذه السن المتقدمة ؟!

ان اخبار شاعرنا تنتهي في ايام الرشيد ، مما نرجح معه ـ انه بسبب ما لاقاه في السجن الطويل من شدائد ومكاره ، وبسبب حياة البادية القاسية التي كان يحياها قبل سجنه وبعده ـ مات قبل خلافة الامين .

وفي شعره ما ينفي عنه عيب القبح إذ يقول منحدثا عن نفسه واخيه :

تفضّ بنا الفجاج إذا ركبنا
وتدلّه في وسامتنا العيون

فكيف نوفق بين هذا البيت ، وبين زعم المؤلف انه كان اعور مقبح الوجه ؟!

٣ ـ عبدالملك الحارثي لم يكن اصمّا ولا لجلاجا :

اما انه لم يكن اصّما ، فيعززه قوله من قصيدة :

تعطلن إلاّ من محاسن اوجهٍ
فتبنّ عوارٍ في الصفات عواطل

---

(٤) انظر مقال « الاسرة الحارثية في مرج بني عامر » للدكتور محمد عدنان بخيت ـ مجلة آداب الرافدين ١٥/١٢٩ ـ ١٧٣ ، والقبائل العربية وسلالها في بلاد فلسطين لمصطفى مراد الدباغ ص ٨٨ ـ ٨٩ .

(٥) الحارثي : حياته وشعره ص ١١ ـ ١٢ و ص ٢٠ .

كواسر عوارٍ صامتاتٌ نواطقٌ
بعفّ الحديث باخلاتٌ بواذلُ

ولو لم تكن لشاعرنا القدرة على السمع ، ما استطاع تمييز « عف الحديث » ولا تحدث عن النواطق به .

وقد خلط المؤلف بين عبدالملك الحارثي وبين اللجلاج الحارثي ، وظنهما شخصا واحدا . وقال ان اللجلاج هو نقب عبدالملك . وهذا موضع نظر . فعبارة الطيانسي هذا نصها : « اصمّ مذحج واسمه اللجلاج قليل الشعر »(٦) . فهذا الشاعر اسمه اللجلاج ، وليس لقبه . امّا لقبه فهو : اصمّ مذحج وهو قليل الشعر . وشاعرنا اسمه عبدالملك وهو ليس اصمّا ولا قليل الشعر جدير بالاشارة الى ان السيوطي في شرح شواهد المغني ص ٥٣١ ـ ٥٣٢ فرّق بين الاثنين ، فاللجلاج الحارثي عنده هو غير عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي . وقد انهى ابو الفرج الاصفهاني كلّ جدل في هذا الأمر إذ قال : « اللجلاج الحارثي وهو طفيل بن يزيد بن عبديغوث ابن صلاءة ، واخوه مسهر فارس شاعر » واكدّ انه جاهلي . (الاغاني ٢٥٤/١٦) .

وقد تصوّر الباحث ان قول الحارثي:

قد باضت الحربُ على هامتي
وصمّمتني اذنتيْ واعيي

يعزّز كونه اصمّا ! بدلالة (صمّم) هذه . وهو سوء فهم لغوي ، فلفظة صمّمه الحديث معناها : أوعاه إياه وجعله يحفظه ولا علاقة لها بالصمم .

٤ ـ امّا حكاية الشؤم التي ترددت في اهاجي البحتري وابن الجهم ، فلا علاقة لها بشاعرنا ، لانه لم يعاصرهما زمانا كما اسلفنا .

الحارثي شاعرٌ عاش ومات في القرن الثاني الهجري . والبحتري وعلي بن الجهم وأبو علي البصير كلهم من شعراء القرن الثالث الهجري .

٥ ـ ووهم إذ قال ما نصه : « ان مقتل سعيد كان في حرّان وهي احدى قرى بلاد الشام(٧) » وقد احال في الهامش الى القصيدة رقم ١٩ من كتابه ؛ فعجت اليها فلم أجد فيها اشارة (لحران) ؛ فعلمت ان رقمه مغلوط ، فالتمستها في موضع آخر ووجدتها في المقطعة رقم ٢١ . ونصّ بيت الحارثي :

وكنت كمغلوب على نصل سيفه
وقد حزّ فيه نصلُ حران باترِ

وخلاصة وهم الباحث ، انه ظن كلمة (حران) في هذا البيت اسم قرية . والصواب انّ معناها : الحار والعطشان .

قال الكسائي : شيءٌ حارٌ يارٌ جارٌ ، وهو حرّان يرّانُ جرّان(٨) .

وقال المرزوقي في شرح الحماسة عند شرحه هذا البيت : يقول :

« كان عدتي على الدهر وسلاحي على أعدائي، فلما فقدته والاعداء بالمرصاد لي ، صرت كمن غلب على سيفه ، وسيف عدوّه قد خرج عليه كطالب ثأر وكبده حرّى ؛ لشدة عداوته ، واستحكام غيظه يعمل فيه ، وينفذ في الضريبة منه(٩) » .

وقال الدكتور عبدالمنعم احمد صالح في شرحه لهذا البيت(١٠) :

الحرّان : العطشان . فسعيد ـ شقيق الشاعر ـ لم يقتل في حران ، كما توهم المؤلف ، كما ان حران ليست من قرى بلاد الشام . بل هي من مدن ديار مضر في الجزيرة .

٦ ـ توهم المؤلف ان صلة المبرد القوية بالحارثي قد اتاحت له ان يروي شعره(١١) ، واحال على ديوان المعاني ٢٣٤/٢ . وهذا الكلام وهمٌ محض . فالمبرّد ولد عام ٢١٠هـ وتوفي عام ٢٨٦هـ ؛ فهو لم يكن معاصراً للحارثي اطلاقا ، فكيف تربطه به صلة قوية ! بالاضافة لدليل علمي مادي آخر وهو : ان الابيات التي رواها المبرد ووردت في ديوان المعاني ، هي لابن الرومي وثابتة النسبة اليه في ديوانه . وما ورد في العمدة تحريف واضح من الناسخ .

٧ ـ توهم المؤلف ان الحارثي الذي ادار الجاحظ على لسانه قصة طويلة في كتاب البخلاء (ص ٦٧ ـ ٨٠) هو شاعرنا عبدالملك بن

---

(٦) المكاثرة عند المذاكرة ص ٤٦ .
(٧) الحارثي : حياته وشعره ص ٢٠ .
(٨) اللسان مادة (حرر) .
(٩) شرح المرزوقي ص ٨٧٩ .
(١٠) ديوان الحماسة برواية الجواليقي ص ٢٤٦ .
(١١) الحارثي : حياته وشعره ص ٢٢ .

عبدالرحيم ! وزعم ان هذا الذي في كتاب الجاحظ خطبة من إنشاء الشاعر المذكور(١٢) !! وهذا مسخ لشخصية الشاعر المترجم ، فالحارثي الذي عقد له الجاحظ فصلاً من كتابه « البخلاء » لتصوير البخل واحتجاجات البخلاء وتعلاتهم : هو سَرِيٌّ مُتَنَبِّلٌ ، وقد اتخذ بخله من هذا التنبل مادة للاحتجاج والمجادلة(١٣) وشاعرنا عبدالملك لم يكن يوماً سريًا موسراً ابدا يشهد على ذلك قوله :

يا اخت كندة ليس الرزق في يده
الرزق في يد من لوشاء اغناني

لقد كان يسعى في طلب الرفد ؛ فهو لم يكن موسرا يوما ما ؛ وكذلك لم يكن بخيلا قطعا . لقد كان بدويا كريما ، يمتدح الكرم ويفخر به ويقول عن نفسه :

فاتّقي إن اتّقتكِ يفتكِ مني
ـ ولا تنسبق به ـ علقٌ ثمينٌ
اخٌ ناهيكِ من كرمٍ وخيرٍ
يزينكِ حيثُ كنتِ ولا يشينُ

لقد فات الاستاذ زكي ؛ ان الجاحظ هو مبتدع فن الوضع في الادب العربي ؛ وانه كان يولّد الاقوال ويضع الاحاديث ويفتن في ذلك شتى الافانين . وانّ هذه القصص والاحاديث التي ضمّنها كتابه البخلاء ونسبها لهذا وذاك هي من ابتكاره ووضعه ومن بنات خياله بدلالة الاسلوب وطريقة الوضع ومنحى الاستدلال فيها(١٤) .

٨ ـ وزعم المؤلف انّ عرى صداقة متينة ربطت بين الحارثي والبحتري ، ثم تفككت فاخذ البحتري يهجو الحارثي بعدة قصائد(١٥) ، وأورد مقتطفاتٍ منها .

هذا الكلام هو الآخر وهمٌ محض . فالبحتري ولد عام ٢٠٦هـ ، والحارثي آنذاك قد شارف السبعين من عمره ؛ ومن المؤكد ان الحارثي قد غادر الدنيا قبل ان يقول البحتري الشعر :

وأما الحارثي الذي هجاه البحتري في عدة قصائد فقد كان حيا عام ٢٧٢هـ وهذا ثابت بالقصيدة التي قالها في هجائه واولها(١٦) :

اخذتْ « جعفرٌ » برأس القطار
ثم نادت ان ابداوا ببوارِ
فاجابتْ امُّ الامير ، وقالت :
قد اتيناكَ اوّلَ الزوّارِ
وسيأتيكَ « صاعدٌ » عن قليلٍ
كتّبتْهُ بالهلاكِ في اسكدار

فجعفرٌ هذه جارية للوزير صاعد بن مخلد الحارثي ، ماتت بعد حبسه ، وكانت الغالبة على امره ، وماتت بعدها بأيام امُّ الامير الموفق ، وتبعها فيما بعد الوزير صاعد بن مخلد(١٧) . فحوادث القصيدة ترجع الى عام ٢٧٢هـ ؛ حيث قبض الموفق على الوزير صاعد بن مخلد في السنة المذكورة وصادره واسرته وبقي سجينا حتى توفى عام ٢٧٥هـ . والوزير المذكور في اصوله من بني الحارث بن كعب المذحجية ؛ اي من قبيلة شاعرنا ذاتها .

فمن المستحيل منطقيا ان يكون عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي حيا سنة ٢٧٢هـ لثبوت انه ولد قبل سنة ١٤٠هـ ، وانه كان في حبس الرشيد سنة ١٧٠هـ . فليس معقولا ان يكون شاعرنا قد تجاوز المائة والثلاثين من عمره ليدرك نكبة صاعد ابن مخلد ، بعد قرن ونيف من حبسه في زمن الرشيد .

ويبدو ان هذه القصيدة التي سخر فيها البحتري من زعيم حارثي كان يدلّ بالسوابغ والبيض والخيول :

بأبي سيفك الذي يكشف الشـ
ـكّ ؛ ويجلو العشا عن الابصارِ
آرنيهِ يفري الدواعدَ والهامَ ، ويسقى من الدماءِ الجواري
اسقني بعضها لعلّي اشفي
بدم الحارثي بعض الأوارِ
لا تهولنّك السوابغُ والبيـ
ضُ ، فمن تحتها قلوبُ العذارى

(١٢) الحارثي : حياته وشعره ص ٢٣ ـ ٢٤ .
(١٣) البخلاء ص ٢٥٥ .
(١٤) عن مقدمة الدكتور طه الحاجري لكتاب البخلاء ص ٤٠ .
(١٥) الحارثي : حياته وشعره ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(١٦) ديوان البحتري ص ١٠٩٣ .
(١٧) انظر اخبار صاعد بن مخلد الحارثي في الكامل حوادث سنة ٢٧٢هـ والمنتظم ٥/٦٦ و ١٠١ وثمار القلوب ٢٩٢ والديارات ٥٤ و ١٧٥ ـ ١٧٦ .

واذا ما نقولك بالخيل فاعلم
انها خدعة ليوم القرار(١٨)

اقول : يبدو ان هذه القصيدة انما حلة بالصراع الناشب بين قبيلة البحتري الطائية وبين قبيلة بني الحارث المذحجية .

ففي قصيدة اخرى كتبها البحتري حوالي عام ٢٣٢هـ مدح فيها زعيم طيء مرّ بن علي الطائي ، اشارت واضحة الى هذا الصراع بين طيء وبني الحارث ، إذ يقول(١٩) :

عذيري من « حار بن كعب » تسفعت
من الظلم صمداء مهولاً صعودها
ولاقت على الزاب الصغير خماتها
حمام المنايا إذ عماد عميدها
فإن هي لم تقنع بمكروه ما مضى
عليها ، فعند المرهفات مزيدها
أفيموا « بني الذبيان » من سفهائكم
فقد طال عن قصد السبيل محيدها
قرابتكم لا تظلموها فتبعثوا
عليكم صدوراً ما تموت حقودها

حتى قال يحنّن الزعيم الطائي على بعض قرابته ويشليه على قبائل مذحج :

ودونك فاختر في قبائل مذحج
انقهرها عن أمرها أم تسودها

ونمة دليل آخر هو : ان الحارثي الذي هجاه البحتري كنيته (ابو الحسن) ، قال البحتري :

سككت على سليمان بن وهب
أبا حسن بديوان البريد

في حين ان كنية شاعرنا في كل المصادر التي ترجمت له او ذكرت شعراً (ابو الوليد) وحين يكون مستحيلاً علميا وماديا بقاء شاعرنا حيا حتى عام ٢٧٢هـ ، إذ لم يقل احد انه عاش قرناً ونصف قرن . فانه يثبت بالدليل القاطع ان الحارثي الذي هجاه البحتري هو حارثي آخر ، وليس شاعرنا قطعا .

٩ ــ وفي غضون ترجمة المؤلف للشاعر نظفر بمثل آخر لضياع الامانة العلمية ، فهو يقول ما نصه(٢٠) : « نرجّح ان يكون عثمان الممدوح والمهجو بعد ذلك هو عثمان بن عمارة ، والي الرشيد على سجستان . وقد كان هذا الوالي يفد الى بلاد الشام حيث قصره » .

واحال في الهامش على كتاب تهذيب تاريخ دمشق ٤٣٤/٢ . وقد رجعنا الى الصحيفة المذكورة من الجزء المذكور في الطبعة التي ذكرها المؤلف في مصادره ، فلم نجد ترجمة لعثمان بن عمارة . بل لم نجد له ترجمة في كل الاجزاء السبعة المطبوعة من تهذيب تاريخ دمشق ، لسبب بسيط هو انها توقفت عند المبادلة عند حرفي (عب) ، دون ان تتجاوزهم الى حرفي (عت) و (عث) . فهل تسوغ مثل هذه الاحالة في ميزان الامانة العلمية ؟!

١٠ ــ ان سلسلة الاخطاء التي وقع فيها الباحث ، جعلته يرسم صورة اسطورية لشاعر عاش قرنا ونصف قرن ، تعيد الى الاذهان سيرة اهل الكهف ! فبينما نراه سجيناً في سجن الرشيد سنة ١٧٠هـ ، نراه عام ٢٧٢هـ ــ اي بعد اكثر من قرن ــ يلاحي البحتري ، فيهجوه المذكور بقصيدة !

ولقد بحثت الى كتب المعمرين ابحث عن الحارثي هذا ، فلم اجد له ذكرا .

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان المؤلف جمع اخبار كلّ من سُمّي بالحارثي طيلة قرن ونصف وضمّها الى بعضها ثم نسبها لشاعرنا . ولم يكتف بهذا بل قال ما خلاصته :

انّ الشاعر هجر النام ويمّم وجهه شطر بغداد ، فزجّ به الخليفة الرشيد في السجن لسبب لم يتوصل اليه ، ثم انه استنجد باخيه سعيد لتخليصه من السجن واستدرّ عطف الرشيد بمثل قوله :

انكك اسيرك والتمس بفكاكه
حسن الجزاء بصالح الاعمال

ولم نجد لهذا البيت تخريجا . وحين التمسناه فيما جمعه الباحث من شعر الحارثي لم نجده فيه ، وهذا امرٌ مستغرب ! إذ كيف يكون البيت شاهدا في الدراسة ، ولا يكون موجوداً في الديوان .

---

(١٨) ديوان البحتري ص ١٠٩٣ ــ ١٠٩٤ .
(١٩) ديوان البحتري ص ٦٥٠ ــ ٦٥٥ .
(٢٠) الحارثي : حياته وشعره ص ١٤ .

ثم قال : ان نفسية الشاعر تحطمت ممّا عاناه في سجنه من ويلات .

ثم قال : انه وجد الحارثي -- بعد خروجه من السجن ــ باكياً اخاه القتيل سعيداً ، والراجح أن سعيداً كان قد لقي مصرعه في احدى المعارك القبلية التي كانت تدور رحاها في بلاد الشام زمن الرشيد بين المضرية والقيسية !! ، واحال في هذا الموضع على تاريخ الطبري حوادث سنة ١٧٦هـ(٢١) .

قال هلال بن ناجي : واشهد انّ هذا الصراع الموهوم بين المضرية والقيسية ايام الرشيد ، والذي قتل فيه سعيد الحارثي ، اثار عجبي !

فالقيسية هم من مضر ، فايّ صراع كان بينهم وبين المضرية ؟ وسعيد الحارثي من بني الحارث بن كعب ثم من مذحج ، زعيم من زعماء اليمانية ، فما علاقته بالصراع الموهوم بين القيسية والمضرية ؟!

وصواب الكلام في كلّ هذا : ان الطبري في حوادث سنة ١٧٦هـ ، عرض لثورة العصبيات بين النزارية واليمانية في الشام ، وليس بين القيسية والمضرية .

ان العلم بالتاريخ وبالانساب هو بعض ما يجب ان يعرفه المتصدون لتحقيق النصوص الادبية ، وبدونه يقع المتصدّي في اوهام لاعدد لها.

وبعد هذا الوهم الخطير يقول السيد زكي ما نصه : « وتنقطع عنا اخبار الحارثي في اثناء خلافة الامين والمامون ، فظنّ الاستاذ خليل مردم الذي كتب بحثاً في الحارثي ، ان الحارثي قد توفي .. » .

وعجت الى مقالة مردم ، اتقرّاها واتفحصها، واقلبها ظهراً لبطن وبطناً لظهر ، فلم اجد فيها اية اشارة لهذا الظن . ووجدت السيد زكي قد قوّل مردماً ما لم يقله .

ثم قال المؤلف : انه يرجح ان الحارثي كان ابّان حكم الامين والمامون في بلاد الشام ، وانه ذهب ليثأر لاخيه بعد مقتله !

ساق هذا الكلام بلا دليل من نصّ او اشارة، ثم قال : ويبدو انّ اقامة الحارثي بالشام لم تطل، ففي سنة ٢٢٢هـ كان الحارثي في العراق ، يتردد على حلوان !! فهجاه علي بن الجهم .

(٢١) الحارثي : حياته وشعره ص ١٩ .

قال هلال بن ناجي : اذا افترضنا ان الحارثي الذي كان يتردد على حلوان عام ٢٢٢هـ هو صاحبنا، فكيف لم تطل اقامته بالشام وقد مرّ اكثر من نصف قرن بين وجوده في سجن الرشيد سنة ١٧٠هـ وبين التاريخ المذكور ؟! وكيف لم يسأل الباحث نفسه : ماذا صنع الشاعر في نصف القرن هذا ؟ ثم مضى بعد هذا الخلط الواضح يلحق بالشاعر كل خبر ورد عن اشخاص آخرين نسبوا لبني الحارث ، ولو اضطر ان يمدّ في حياة شاعرنا قرنين من الزمن !!

فقد تخيّل الباحث أن شاعرنا تردد مرات على حلوان سنة ٢٢٢هـ ، وصادف ذلك ظهور كوكب الذنب ! ثم قال : وحدث تغير مفاجيء في سيرته ، فاذا هو يظهر في حلقات العلم والادب ببغداد محاوراً للجاحظ والمبرد ، ثمّ متعرضاً لهجاء البحتري عام ٢٧٢هـ !! وكل هذه التخيلات ساقها بلا دليل ، ودون ذكر مرجع قديم واحد دوّن : ان هذا الذي هجاه علي ابن الجهم ، او ذكره المبرد ، او قصّ عنه الجاحظ ، او هجاه البحتري ، هو ابو الوليد عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي . لا مرجع قديم ذكر ذلك على الاطلاق .

وانّ رجلا ثبت انه كان في سجن الرشيد عام ١٧٠ ، وعصرته حياة السجن عصراً ، وأكلته الحروب وحياة البادية ، لا يمكن ان يمتدّ به العمر ليكون خليفة نوح . ان كل القرائن تقول : ان عبدالملك الحارثي من شعراء القرن الثاني الهجري ، فمن ذلك انقطاع اخباره في ايام الرشيد المتوفى سنة ١٩٣هـ .

ومن ذلك انّ الاصمعي الذي عاش بين عامي ١٢٢هـ ــ ٢١٦هـ ، حين روى عينية الحارثي للرياشي ، فضّله فيها على جرير والفرزدق والاخطل ، وابعد هؤلاء وفاة مات سنة ١١٠هـ ، وهذه قرينة على ان الحارثي من شعراء القرن الثاني الهجري . فلو ان الحارثي عاش في القرن الثالث الهجري لفضّله الاصمعي على شعراء قرنه كابي تمام وابن الرومي والبحتري ، ولكنه كان اعلم بعصره وزمنه . كما ان الاصمعي فضّله على محمد ابن مناذر ــ وهو شاعر مدح البرامكة ــ وكان من شعراء القرن الثاني الهجري(٢٢) . ومن ذلك

(٢٢) انظر مقدمة القصيدة العينية المنقولة من جمهرة الاسلام برواية الرياشي عن الاصمعي في كتاب « الشعراء الشاميون » ص ٢٩٠ .

ايضا : ان الثعالبي حين رتب الشعراء حسب ازمانهم في كتابه « خاص الخاص » ، وضع الحارثي بين شعراء القرن الثاني الهجري من حيث الترتيب والله العالم .

ثامنا : كلمة اخيرة حول مصادر الكتاب :

فهرس المصادر في الكتاب المنقود لم يسلم هو الآخر من المؤاخذات .

١ ـ فهو لم يحتجن كل مصادر الباحث ، إذ وجدت عدداً من مصادره في الهوامش لاوجود لها في الفهرس . مثال ذلك : ديوان ابن الرومي المذكور في الهامش ٣٣ ص (٨٥) ورسالة العزلة للخطابي الواردة في الهامش رقم ٧ ص ٥٦ . والعقد الفريد الوارد في الهامش رقم ١٥ ص ٥٩ . وتاج العروس المذكور في الهامش رقم ٣٧ ص ٩٠ وسوى ذلك .

٢ ـ وهناك مصادر ذكرها في هوامشه دون ذكر الجزء والصحيفة التي رجع اليها واعتمدها في التخريج . مثال ذلك : كتاب (مفيد العلوم) ذكره في الهامش رقم ٤٢ ص ٩٤ دون بيان رقم الصحيفة . ومختصر التاريخ ذكره في الهامش رقم ٣٠ ص ٨٣ . وسوى ذلك .

٣ ـ وجود مصادر ذكرها في الفهرس ولم يرجع اليها مثل مخطوطة جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام للشيزري ، والتي نقل المرحوم مردم قصيدة الحارثي العينية عنها . فقد ذكرها السيد زكي في مصادره رغم انه لم يرها ولم ينقل عنها باقراره المثبت على الصحيفة ٦٩ من كتابه .

٤ ـ ذكره مصادر مخطوطة دون بيان اسمها او رقمها او الصحيفة التي نقل عنها . مثال ذلك : مجموعة شعرية مخطوطة ٥٢ ، ذكرها في الهامش رقم ٤٢ ص ٩٤ دون بيان اسمها او رقمها ومظنة وجودها . ومجموعة اخرى مخطوطة ذكرها في الهامش رقم ٢١ ص ٦٥ دون بيان اسمها او رقمها ومظنة وجودها . ومجموعة مخطوطة ذكرها في الهامش رقم ١٩ ص ٦٢ دون ذكر رقمها ومظنة وجودها . وسوى ذلك .

٥ ـ ذكره المصدر الواحد مرتين باسمين مختلفين دون الانتباه الى انه كتاب واحد ، مثاله : مؤنس الوحيد ، الذي هو قطعة من محاضرات الراغب الاصبهاني وليس كتابا مستقلا .

٦ ـ ذكره اخباراً عن مصادر وهمية لم تحتجن تلك الاخبار ، كما احال في ترجمة عثمان بن عمارة على كتاب تهذيب تاريخ دمشق ٤٣٤/٢ ولا وجود لذكر عثمان المذكور في الكتاب كله .

٧ ـ اخطاء وردت في الاسماء وفي الوفيات في فهرس المصادر مثالها : ديوان السموال بشرح ابراهيم بن محمد الاسدي . والصواب الازدي . والحسن بن محمد الصغاني (ص ٤٤) ذكر انه توفي سنة ٦٤٩هـ ؛ والصواب ٦٥٠هـ . وغير ذلك .

ونكتفي بما تقدم . والحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا .

ـ ٢ ـ

حول كتاب

« حلية المحاضرة » للحاتمي

(١)

بشكل عابر تصفحت مقالة السيد زكي ذاكر العاني حول كتاب حلية المحاضرة المنشورة في العدد الثالث من المجلد التاسع من المورد ، فوجدت الكاتب قد وقع ـ وهو يتناول القسم الاول من الكتاب الذي حققته ـ في سلسلة اخطاء ، لم اشأ تصويبها اعتقاداً مني انها من ثمرات غرة الشباب وعنفوانه ، وقلت في نفسي : كاتب شاب يريد أن يجرب قلمه في اعمال من سبقوه عمراً وتجربة ، فلنترك له الفرصة .

ومضى عام ولقيني صديق كريم من اصدقائي وسألني عن المخطوطة الثالثة من حلية المحاضرة التي اشار اليها السيد زكي ذاكر في مقاله ، فاجبته ان لا وجود لهذه المخطوطة اصلا ، فاردف قائلا : من غير المألوف ان تسكت على نقد ناقد ، وان عدم ردك جعل المهتمين بتراثنا من قراء المورد يحسبون كلام الناقد صحيحا .

وعدت الى المقالة انعم النظر فيها فاذا هي اخطاء محضة ، وتوهم واضح ، وخروج على قواعد التحقيق والنقد العلمي معا .

وتوخيا للموضوعية ، اجمل ردي في النقاط التالية :

١ ـ ذكر السيد زكي انني اعتمدت في تحقيقي مخطوطتين من حلية المحاضرة ، رقم الاولى ١٩٧٧ والثانية ٥٩٠ القرويين .

وان الدكتور احسان عباس ذكر في كتابه تاريخ النقد الادبي عند العرب مخطوطة رقمها (٢٣٢٤) .

ومضى يدلل على صحة وجود هذه المخطوطة الثالثة ، بان اورد مقتبسا من الورقة ٢٠ منها ، هذا نصه : (فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر او باينه في صحة التراكيب غادر بالجسم عاهة تتحيف محاسنه وتعفي معالم جلاله) . اورده نقلا عن كتاب الدكتور احسان عباس ، ثم قال : ومن المدهش ان هذا الكلام لا وجود له في الكتاب المطبوع .

وجوابي : ان لا وجود لمخطوطة ثالثة من « حلية المحاضرة » اساسا ، فهما مخطوطتان كتبهما كاتب واحد هو ابراهيم بن محمد الغساني الشهير بالوزير في فاس سنة ٩٩٠هـ .

الاولى : وهي نسخة تامة رقمها في مكتبة جامع القرويين بفاس ١٩٧٧ ـ كما في الصورة رقم ١ بجانبه ـ وقد ثبت رقم آخر على اول المخطوط بالشكل التالي (2934/1977) ـ انظر الصورة رقم ٢ ـ .

والثانية : وهي نسخة في ثلاثة اجزاء ، فقد جزئها الاوسط ، وبقي منها الجزآن الاول والثالث ورقمها في خزانة جامع القرويين (٥٩٠) . ـ انظر الصورة رقم ٣ ـ .

ولا وجود لمخطوطة ثالثة على الاطلاق .

امّا المخطوطة التي ذكرها الدكتور احسان عباس في كتابه تاريخ النقد الادبي عند العرب ، فهي المخطوطة الاولى ذاتها .

لكن التحريف قد لحق الرقم الذي ذكره في كتابه .

فالرقم الصحيح هو ٢٩٣٤/١٩٧٧ (كما في الصورة) لكنه اثبت الرقم ناقصا ومحرفا فقد اسقط رقم ١٩٧٧ ، وحرّف الرقم ٢٩٣٤ الى ٢٣٣٤ . (انظر هامش الصحيفة ٢٥٧) من كتابه .

وفي فهرس مصادر البحث في آخر كتابه ص ٦٣٣ حرّف الرقم مرة اخرى فاصبح (٤٣٣٤) .

غير ان الحقيقة تنضح لكل ذي عينين وبصيرة عند ملاحظة صور المخطوطة المثبتة المعززة لكلامنا ، وقد يكون هذا التحريف من صنع المطبعة ـ كما ارجح ـ .

اقول هذا والدكتور احسان عباس حي يرزق ، وبامكانه الرد إن كان ما ذكرناه غير صحيح .

امّا نص الوحدة العضوية غير الموجود في الجزء الاول من كتابنا . فهو امر طبيعي . الجزء الاول وقف عند الورقة ١٩ من المخطوط رقم ٢٩٣٤/١٩٧٧ ونص الوحدة العضوية وارد على الورقة ٢٠ منه . فلا موجب للدهشة على الاطلاق .

وممّا يؤكد الوهم الذي وقع فيه السيد الناقد انه وجّه هذا النقد نفسه الى نشرة السيد جعفر الكتاني واتهمه بان نصّ الوحدة العضوية غير موجود في نشرته مما يدل ـ حسب استنتاجه ـ على عدم وقوفه على مخطوطة الدكتور احسان عباس !!

ولو انعم الناقد النظر في الصحيفة (٢١٥) من الجزء الاول من نشرة الكتاني لوجد النص كاملا دون تحريف (انظر الصورة رقم ٤) .

ومضى السيد الناقد يتهمني بتخطي قواعد التحقيق العلمي والخروج عن الامانة العلمية التي ينبغي ان يتحلى بها الباحثون (كذا !) ، بسبب انه وجد بعض الفروق في القراآت لم اثبتها في هوامشي .

لقد انطلق من قاعدة مغلوطة اساسا خلاصتها: انّ قراءة الدكتور احسان عباس للنص صحيحة لا تقبل مناقشة فمن خالفها في قراءته كان مخطئا !! والواقع ان كلاً منا قد بذل جهده في تقري الحروف المتلاشية ، وحكّم ذوقه واجتهاده ، وقد رجعت الى مصورة الاصل المخطوط فوجدت قراءتي هي الاصوب في اغلب المواضع ـ وليس في هذا ما يقدح في علم عالم جليل كالدكتور احسان عباس ـ لسبب بسيط هو : انه لم يكن في مقام المحقق لنص الحلية ، وانما مرّ بها مرورا عابرا مستشهداً ببعض نصوصها في حين كنت في موضع المحقق المنصرف للنص بكليته . وساضرب لهذا مثلا واحداً .

نص الوحدة العضوية اثبته الدكتور احسان

على الصحيفة ٢٥٧ من كتابه كالآتي : « فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر او باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتحيف محاسنه، وتعفي معالم جلاله » .

وهذا النصّ نقله عن المخطوطة ٢٣٣٤ : التي قلنا ان رقمها الصحيح هو (٢٩٣٤/١٩٧٧) وهي التي رمزنا لها في تحقيقنا بالحرف آ واتخذناها امّا هذا النص مغلوط في موضعين ومخالف فيهما للاصل المخطوط .

فصواب العبارة الاخيرة منه كالآتي : غادر بالجسم عاهة تتخوّن محاسنه ، وتعفّي معالم جماله » .

ان اتهام الاخرين في امانتهم العلمية امر بغيض ، ولو اننا كلنا للناقد بمكياله ؛ لاتضح انه فاقد للامانة العلمية حتى في نقله سطورامن مطبوع نقد نقل في مقاله فقرة من كتاب الدكتور احسان عباس ـ تاريخ النقد الادبي ص (٢٥٦ـ٢٥٧) ورغم قصر هذه الفقرة وانها مطبوعة بحروف واضحة فقد خالف الامانة العلمية في ثلاثة مواضع .

قال الدكتور احسان عباس نقلا عن الحاتمي : « والطبع الذي هو دعامة المنطق شريفا ، والفصول ملتحمة ، والفضول محذوفة ، والفصول مقسومة » فنقلها السيد ذاكر في المورد ص ٣٩٢ كالآتي :

« والطبع الذي هو دعامة المنطق شريفا ، والفضول محذوفة والفصول مقسومة » . فسقطت منه عبارة (والفصول ملتحمة) .

وقال الدكتور احسان نقلا عن الحاتمي : « واللسان بالبيان مطردا .... والبديهة مسعفة » فنقلها السيد ذاكر كالآتي :

« واللسان بالبين مطردا ... والبديهية مسعفة » .

فاذا كان السيد الناقد ينقل عن كتاب مطبوع، وهو في نقله هذا يحرف ويحور ؛ فهل يكون من حقه تعليم الآخرين (الامانة العلمية) .

مثال آخر : وهناك نص آخر من حلية المحاضرة وارد في ديباجة الكتاب ، اثبته الدكتور احسان بشكل يختلف عما اثبتناه بالتفصيل التالي:

العبارة كما اوردها احسان عباس	العبارة كما اوردناها
والالفاظ لائحة	والالفاظ متناسجة
والمعاني متعاقبة	والمعاني متناسبة
اذا صحت الاطالة	اذا حَسُنت الاطالة
والطبع شريفا	والطبع متدفقا
والفضول محذوفة	والفضول مجذوذة

وقد رجعت الى مصورة المخطوط ، فوجدت قرائتي هي المطابقة للاصل المخطوط ، يعزز كلامي هذا (الصورة رقم ٥) .

ان المحنة الحقيقية التي تعتور شباب الباحثين عندنا هي : عدم ثقتهم باخوانهم العراقيين وجهلهم اقدارهم العلمية وتفضيلهم غير العراقي بلا مبرر ، فقبل ثمانية قرون لمس ابن الجوزي ، شيخ علماء عصره ، هذه الحقيقة فقال ابياته الشهيرة :

عذيري من فتية بالعراق
قلوبهم بالجفا قلّب
يرون العجيب كلام الغريب
فامّا القريب فلا يعجب
ميازيبهم إن تندّت بخير
الى غير جيرانهم تقلب
وعذرهم عند تانيبهم
« مغنية الحيّ لا تطرب » !

وبعد : فلو انّ السيد الناقد رجع الى مقالتي المنشورة في مجلة « الكتاب » والمستدركة على كتاب الدكتور احسان عباس المعنون « شعر الخوارج » ، ولو انه رجع الى المورد فوقف على الشعر الكثير للصنوبري الذي اضفته للذيل الذي صنعه الدكتور احسان عباس لديوان الشاعر المذكور . ولو انه قرا المستدرك الخطير على القسم المصري من خريدة القصر وجريدة العصر الذي اضفت فيه تراجم ١٨ شاعراً مصريا سقطت تراجمهم من الخريدة ، واستدركت واضفت اشعارا الى ٢٤ شاعراً آخر . وهي اضافة تناولت كتابا حققه ثلاثة من جلة الاساتذة وكبارهم هم : احمد امين وشوقي ضيف واحسان عباس .

لو انه وقف على هذه الامور ، واستوعبها ، ما استكثر على كاتب السطور ان تكون قراءته هي الصحيحة الراجحة ، وقراءة سواه المرجوحة ـ وفوق كل ذي علم عليم ـ .

٢ ـ والملحوظة الثانية التي اوردها السيد

الناقد هي : انه قد وردت في حلية المحاضرة ابيات من قصائد متنازع عليها وانني اغفلت في هوامشي الاشارة الى الاختلاف الحاصل في نسبة تلك القصائد . واستشهد على هذا بابيات من القصيدة اللامية المنسوبة للسموال التي وردت بعض ابياتها في الصفحة ٦٢ من الكتاب . فقد اكد السيد الناقد « ان هذه اللامية تنسب لعبدالملك الحارثي » وقد ذكرها له دون سواه الراغب الاصفهاني في محاضراته ١٤٥/٣ ونسبها للحارثي فقط ، والثعالبي في كتابيه الاقتباس من القرآن ص ١٩٠ ولب الآداب ص ٥٥ والى الحارثي نسبها ابو بكر الصولي في كتابه اخبار ابي تمام اذ قال في ص ١٤٠ (انها تروى للسموال ولكنها للحارثي) ؛؛ كما ان ناسخ ديوان السموال اشار الى ان القصيدة تنسب للحارثي .

وهذا الكلام كله خارج الصدد ــ بلغه اهل القانون .

فلقد اورد الحاتمي بيتين من اللامية ، وصدرهما بقوله « فأول من ذكره السموال ، وكل آخذ تبع له ، في قوله » ثم اورد البيتين .

والقاعدة المستقرة في علم التحقيق هي : انه اذا كان للشاعر ديوان روجعت الابيات على ديوانه وخرجت عليه واشير الى الاختلاف الحاصل في الرواية إن وجد .

وهذا ما صنعناه إذ رجعنا الى ديوان السموال (طبعة صادر ــ بيروت) ص ١٢ وخرجنا البيتين واشرنا الى الاختلاف الحاصل في الرواية .

لكن لو لم يكن للسموال ديوان معروف ، لوجب تخريج البيتين في المصادر الاخرى ، وآنذاك قد نلجأ الى ذكر التدافع في نسبتهما في بعض المصادر .

ولقد تحدثت عن هذه اللامية المتدافعة اثناء نقدي لديوان الحارثي حديثا مفصلا ، وانتهيت الى انّ ابياتا للحارثي تداخلت في قصيدة السموال ، ولهما معا ذات الغرض والوزن والرويّ ، فنشأ هذا التدافع في عزو القصيدة ، فلا موجب للاعادة. على اننا لابدّ ان نصحح وهماً وقع فيه السيد الناقد حين قال ان الراغب الاصفهاني في محاضراته ١٤٥/٣ نسب القصيدة للحارثي .

وكذلك ــ حسب قوله ــ فعل الثعالبي في كتابه الاقتباس ص ١٩٠ والصولي في اخبار ابي تمام . فالراغب الاصفهاني لم ينسب للحارثي سوى بيتين من اللامية . والثعالبي لم ينسب للحارثي سوى بيت واحد منها .

والصولي نسب ثلاثة ابيات فقط .

لم ينسب احد من هؤلاء او سواهم القصيدة اللامية بكاملها ــ وعدتها ثلاثة وعشرون بيتا ــ للحارثي لوحده على الاطلاق .

٣ ــ وقال السيد الناقد في ملحوظته الثالثة ما نصه : (في ص ٤٩ وردت اربعة ابيات للحارثي اولها ــ وكذبت طرفي عنك والطرف صادق ــ وقد ذكر المحقق في هامشه ان الحارثي النجاشي قيس بن عمر (كذا) شاعر هجاء مخضرم توفي نحو سنة ٤٠هـ . ولو اصاب لقال الحارثي شاعر شامي عاصر البحتري وعليا بن الجهم له ترجمة في طبقات الشعراء لابن المعتز) .

وهذه الملحوظة مردودة جملة وتفصيلا ، فالنص الوارد في كتابي ص ٤٩ هو كالآتي : (قال : ما علمت ان احداً بعده سرق هذا التقسيم منه الا الحارثي حيث يقول(١١) :

١ ــ وكذبت طرفي عنك والطرف صادقٌ
واسمعتُ اذني فيك ما ليس يسمع
٢ ــ ولم اسكن الارض التي تسكنينها
لئلا يقولوا : صابر ليس يجزع
٣ ــ فلا كمدي يفنى ولا لكِ رقةٌ
ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مطمع
٤ ــ لقيت امورا فيك لم الق مثلها
واعظم منها منك ما اتوقع

ونص الهامش الذي اثبته للأبيات المذكورة هو :

(١) الابيات متدافعة فهي في الاغاني (طبعة الدار) ١٠٨/١٩ (ومعها خامس) لبكر بن النطاح ورواية الاول في الاغاني : أكذب طرفي .. واسمع اذني . ورواية الثاني : لكي لا يقولوا . ورواية الثالث : فلا كبدي تبلى ولا لك رحمة . والابيات لبكر في التذكرة السعدية ٤٩٧/١ ورواية الاول : يسمع . ورواية الثاني : لكيما يقولوا . ورواية الثالث : فلا كمدي يبلى ولا لك رحمة .

والابيات للحارثي في سر الفصاحة ص ٢٢٧ .

ورواية الاول : فكذبت . ورواية الثاني : وما اسكن . ورواية الثالث : فلا كمدي يغني ولا لك ذمة . والابيات ١ــ٣ في الحماسة البصرية ١١٤/٢ منسوبة للنجاشي الحارثي . ورواية الاول : طرقي فيك ... اذني عنك .

والابيات ١ــ٣ في الزهرة ٨٩/١ دون عزو ، ورواية الثالث : فلا كمد يبلى ولا لك رحمة . والثالث فقط للحارثي في العمدة ٢٤/٢ . والنجاشي الحارثي هو قيس بن عمرو شاعر هجاء مخضرم توفي نحو سنة ٤٠هـ انظر مصادر ترجمته في الاعلام ٥٨/٦) .

هذا هو النص وهامشه كما اوردته في الصحيفة ٤٩ من الحلية .

فانا لم انسب الابيات للنجاشي الحارثي مطلقا لقد اوردتها كما نسبتها المصادر ، الاغاني والتذكرة السعدية نسبتها لبكر بن النطاح .

سر الفصاحة نسبت الابيات للحارثي دون ذكر اسمه . وبيت واحد نسبه ابن رشيق للحارثي دون ذكر اسمه .

صاحب الزهرة ذكر ثلاثة ابيات منها دون عزو لشاعر ما .

صاحب الحماسة البصرية نسب الابيات للنجاشي الحارثي .

صاحب الحماسة البصرية اذن هو الذي نسب الابيات للنجاشي الحارثي ولست انا الذي نسبها . وفي مثل هذه الحالة تقضي قواعد التحقيق العلمي بالتعريف الموجز بالنجاشي الحارثي ، وهو ما صنعته . دون ابداء اي رأي في نسبة هذه الابيات للمذكور .

واما قول السيد الناقد ــ ولو اصاب لقال الحارثي شاعر شامي عاصر البحتري وعليا بن الجهم ــ فهو كلام غير علمي . إذ ان عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي كان في سجن الرشيد عام ١٧٠هـ اثر هجوه لروح بن حاتم المهلبي ، عامل الرشيد على فلسطين . وليس معقولا انه كتب مثل هذا الشعر الرصين ان صح وهو دون الثلاثين . وهذا يعني ان الحارثي كان على ابواب السبعين من عمره حين ولد البحتري عام ٢٠٦هـ . فكيف يكون الحارثي معاصراً للبحتري ؟!

ونحيل هنا الى ما كتبناه في نقد ديوان الحارثي .

٤ ــ وقال في ملحوظته الرابعة ما نصه : (في ص ٥٧ ورد البيت :

فاني إن افتك يفتك مني
ــ فلا تسبق به ــ علم نفيس

دون عزو . وقد همش المحقق الى ان البيت ورد في معاهد التنصيص ٢٢٣/١ بلا عزو . اقول : البيت لعبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي وقد نسب له في قانون البلاغة ٤٤٨ والكافي في العروض والقوافي ١٨٦) .

قلت : هذه الملحوظة فيها جملة اخطاء . فالنص كما اوردته في الصحيفة ٥٧ هو : (... علق" نفيس) وليس (علم نفيس) وفي هامشه قلت ما نصه (البيت دون عزو في معاهد التنصيص ١٢٣/١) ولم اقل انه في (معاهد التنصيص ٢٢٣/١) .

واضيف هنا ما نصه : ان هذا البيت قد لحقه تحريف في رويه في جميع المصادر التي ذكرته ، فهو من قصيدة نونية الروي اولها :

اذا ما لم يكن لاح اخوه
على ما نابه فلمن يكون ؟

فالرواية الصحيحة للبيت الذي تقدم :

فاني إن" افتك يفتك مني
ــ ولا تسبق به ــ علق" ثمين"

انظر تخريجه في نقدي لديوان الحارثي .

٥ ــ والملحوظة الخامسة وهي الاخيرة قوله : انني ترجمت لشعراء مشهورين واثقلت هوامشي بذكر استدراكاتي على بعض الدواوين الشعرية ومكان نشرها وتاريخها وكل هذا لا حاجة له ، حسب رأيه .

وجوابي على هذا : اني ترجمت بايجاز شديد للمشهور والمغمور ، ولكل محقق طريقته واسلوبه .

امّا ذكري استدراكاتي على الدواوين الشعرية ومظان نشرها في مواضعها ففيه فائدة لا تخفى ، لانها في واقعها تتمة للدواوين وذيول لها ،

وقد لا يوجد البيت في ديوان الشاعر ، ولكنه يوجد في المستدرك الذي سبق ونشرته برواية مختلفة او مؤتلفة مع رواية الحلية .

وبهذا تصبح جميع نقدات السيد زكي ذاكر مردودة بالدليل المادي والعلمي الملموس .

ملاحظات حول

طبعة الكتاني لحلية المحاضرة

(٢)

في ربيع عام ١٩٧٧ سلمت للناشر في بيروت اصول كتاب حلية المحاضرة للحاتمي محققة جهد الطاقة ؛ وكان الأمل ان تصدر في العام نفسه وفي اجزاء متلاحقة بعد ان بذلت عامين من عمري في تحقيق النص ، وفك غوامضه ، وتدارك ما تلاشى منه ، وتصويب ما صحف مصحف ، وحرّف محرف .

وفي ربيع عام ١٩٧٨ صدر الجزء الاول منه ، ولم يصدر جزء آخر رغم التأكيدات المتكررة ، وبعد صمت جاوز عامين اتضح ان بقية الاصول كانت من ضحايا الحرب الاهلية في لبنان فقد فقدت نتيجة تهدم العمارات في المنطقة الرئيسية للكتب والمكتبات ببيروت والحرائق التي التهمتها .

وفي اواخر عام ١٩٧٩ صدرت « حلية المحاضرة » ببغداد بتحقيق الدكتور جعفر كتاني في جزئين صدر الثاني منهما عام ١٩٨٠ .

ولم تخل صفحة من صحائف هذه الطبعة من تحريفات وتصحيفات يصعب حصرها ــ وقد اشار الى بعضها السيد زكي ذاكر في مقاله الذي تقدم ذكره ــ .

غير ان ما لايعرفه القراء من امر هذه الطبعة هو انها (طبعة ناقصة) فقد سقطت فقرات كاملة من اصل الحلية في مواضع متعددة . واختصرت بعض الفصول اختصاراً عجيباً مخلاً . وادعى المحقق في بعض المواضع ان الاصل مطموس وغير مقروء ووضع مكانه نقاطا ؛ في حين يكون الاصل مقروءاً وغير مطموس .

اما مخالفات قواعد التحقيق العلمي فحدث عنها ولا حرج .

واعتقد ان اثبات النقدات بدقة وتصويب الاوهام وتصحيح التزويرات تحتاج الى كتاب براسه لا يقل حجما عن الكتاب المنقود ذاته . وهو امر لا تتسع (الورد) لنشره .

لكنني ساورد هنا نماذج معززة بالصور لإثبات ما ذكرته .

الانموذج الاول : الصورة رقم (٦) تمثل الصحيفتين ١٤٦ ــ ١٤٧ من الجزء الاول من حلية المحاضرة بتحقيق الكتاني ، ويلاحظ انه وضع نقاطا في مواضع عدة سطور بزعم انها مطموسة في الاصل .

بالرجوع الى اصل المخطوط الذي اعتمده والى الورقة السادسة منه بالذات المقابلة للصحيفتين المذكورتين ، نجد ان هذه السطور غير مطموسة اساساً ، وقد اسقطها المحقق من كتابه خلافا لقواعد الدقة والامانة العلمية ــ انظر الصورة رقم ٧ ــ .

وفيما يلي النص الكامل للسطور التي اسقطها ليتضح النقص الذي اشرنا اليه بالدليل المادي .

[واحسن من هذا كله قول ابي تمام :

عداك حر الثغور المستضامة عن
برد الثغور وعن سلسالها الخصب
[ ](١) شبه به الريق بجمع التجنيس والطباق والتتميم .

قال علي بن هارون، وانا اقول بل قال جرير:

حلأت ذا سقم يرى لشفائه
وردا وينمنع إن اراد ورودا

قال ابو علي الحاتمي : اخبرني ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني ، قال : سالت قدامة : ما ابرع تجنيس اودعته كتابك ؟ فقال : قول رجل من بني عبس :

وذاكم ان ذل الجار حالفكم
وان انفكم لا يعرف الانفا

احسن ما قيل في التقسيم

قال ابو علي : سالت ابا الحسن علي بن هارون عن التقسيم ، فقال : هو ان يستقصي الشاعر تفصيل ما ابتدا به ويستوفيه ؛ فلا يغادر قسماً يقتضيه المعنى الا اورده . قال : والى هذا كان يذهب اهلنا . قال ابو علي : قلنا : فما احسن ما قيل فيه ؟ قال : كان يحيى بن علي يزعم انه لم يقل في التقسيم احسن من قول نصيب :

فقال فريق القوم لما نشدتهم :
نعم ، وفريق : ايمن الله ما ندري

---

(١) قطع وطمس بمقدار خمس كلمات .

ومثله قول بشار :

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه
ويدرك من نجّى الفرارَ مثالبَه
فراحوا فريق في الإسار ، ومثلَه
قتيلٌ ، ومثلٌ لاذ بالبحر هاربه

قال ابو علي : وليس في وصف من وقع الضرّ به ، ودارت رحى الحرب عليه ، غير ما ذكره . قال : وكان يحيى بن علي يقول : لم يقل في التقسيم احسن من قول الشماخ يصف صلابة سنابك الحمار وشدة وطئه في الارض :

متى ما تقع ارساغُه مطمئنّةً
على حجرٍ يرفضُّ او يتدحرجُ

قال علي بن هارون : وانا اقول ان احسن ما قيل في ذلك قول زهير :

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا اطعنوا
ضاربَ حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

قال ابو الحسن : وانا اقول لا بل قول عنترة] .

فكل هذا الكلام ساقط من طبعة جعفر الكتاني ، ولم يبق منه سوى بيت نصيب وبيتي بشار ، فاين ذهب الباقي ؟!

يدعي الدكتور الكتاني ان الاصل مطموس ومتآكل . وهذا كلام مزوّر ، تنفيه الحقيقة المادية ، التي تجسدها صورة المخطوطة الاصلية فماذا يقال في مثل هذا العمل ؟!

يضاف لهذا النقص الخطير ، والنزوير(٢) المثير ، ان المحقق حرّف بيت نصيب عما هو عليه في المخطوطة . فنصه في المخطوطة :

فقال فريق القوم لمّا نشدتهم :
نعم ، وفريق : ايمن الله ما ندري

فاثبته الكتاني ص ١٤٧ كالآتي :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم
نعم، وفريق قال : ويحك ماندري

ونتساءل من اين جاء الكتاني بهذه الرواية للبيت ، وهل يسوغ علميا ابدال رواية المخطوطة لبيت ما برواية اخرى دون ذكر السبب والمصدر، مع ان رواية المخطوطة في غاية السلامة ؟!

(٢) التزوير قانونا هو تغيير الحقيقة .

فهذا الذي ذكرناه انموذج واحد للنصوص الساقطة في طبعة الكتاني ، ولتزوير المحقق في هوامشه خلافا للاصل المخطوط .

واسوق انموذجا آخر لسوء القراءة والتزوير معا .

فالصورة رقم (٨) تمثل الصحيفة ٢٠٤ من الجزء الثاني من الحلية بتحقيق الكتاني .

وفيما يلي النص كما ورد عند الكتاني :

١٣٨٩ / (وقال ابن طباطبا فأحسن(٢٧) :

عشوت الى نار . . . . .
. . . اليها فدفداً بعد فدفدِ
بدت في الدجى . . . . .
. . . سهيل كالطريد المشرد
كأني ارى في البيد . . . . .
سبيلين اذكاها لعاشٍ ملدد
فلم ادر والظلماء يقبض ناظري
. . . حندس الليل اهتدي
كان لهيب النار . . . . .
. . . . . مطرد
اذا حرّكتها الريح في الجو
. . . . . المدد
لها حبك تبدو لعيني . .
. . . . . المورد

١٣٩٠ / وله يصف السراج ونور المصباح فيه :

يالسراج يضيء ملتهبا
وراء كأسٍ يُضيء في الظلمِ
خمراً كالجلنار في آنيةٍ
متضرّمٌ كالنار غاية الضرم
مصباحها في ضميرها شبها
مثل سنانٍ مخضّبٍ بدمِ(٢٨))

هذا هو النص كما اورده الكتاني في الصحيفة ٢٠٤ من الجزء الثاني من طبعته . وقد ذكر في الهامش الذي صنعه لهذا النص ما يلي (ص ٢٠٦) :

(٢٧) (.. وأمام هذه الابيات السبعة

ونفت متحيرا . إذ هي ممحوة في الاصل ولم اعثر عليها في اي من المصادر التي تناولتها) .

(٢٨) (وبرغم ذلك كله لم اجد اي بيت من ابيات ابن طباطبا الواردة في الفقرات ٩٥٧ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠) .

★

والسؤال : هل هذا الذي قاله الكتاني صحيح ، وان الابيات ممحوة في الاصل المخطوط؟ الجواب : كلا .

واثبت فيما يلي قراءتنا الصحيحة لهذا النص كاملا :

عشوت الى نارٍ تناءت فلم ازل
اجوب اليها قفراً بعد قفرٍ
بدت في الدجى ذات اليمين وقد بدا
شمالاً سهيلٌ كالطريد المشرد
كاني ارى في البيد نارين او ارى
سهيلين إذ لاحا لعاشٍ مسهّد
فلم ادرِ والظلماءُ تقبض ناظري
بايهما في حندس الليل اهتدي
كانّ لهيب النار عند اتقادها
وقد خفقت طبعا حديدة مطرد
اذا حركتها الريح في الجو خلتها
سنا لهبٍ خلف السنان المحدد
لها حبكٌ تبدو لعينيّ كالتي
اراها عشاءً في السحاب المورد

ونه يصف السراج ونور المصباح فيه :

بالسراج يضيءُ ملتهباً
وراء كأس تضيءُ في الظلمِ
حمراء كالجلنار قانية
تضرم كالنار غاية الضرم
مصباحها في ضميرها شبها
مثل سنانٍ مخضّبٍ بدم

★

وهذا النص يقدم لنا الدليل المادي على ان الدكتور جعفر كتاني كان لا يحسن قراءة المخطوط ، وكان من جهة اخرى يغيّر الحقيقة ويذكر اموراً غير صحيحة ، وهو ما اصطلح عليه اهل القانون واللغة (بالتزوير) . ومثل ثالث من امثلة التزوير وسوء القراءة التي وقع فيها الكتاني - نجده في الفقرة ٧٢ من كتابه والمثبتة في الصحيفة ١٦٥ من الجزء الاول ، وهذا نصها عنده : (قال ابو علي : هذا عندي خبره ، فيستحيل مثله عن بشار ، إذ لا يشبه من بيت جرير شيئا البته ، وانما اخذه من قول الاول :) وصواب النص كما ورد على الورقة ١٠ب كالآتي:

(قال ابو علي : هذا عندي خبر يستحيل مثله عن بشار ، لان بيت حماد عجرد لا يشبه من بيت جرير شيئا البتة ، وانما اخذه حماد من قول الاول) ـ انظر الصورة رقم ٩ ـ .

واكتفي بهذه النماذج الثلاثة .

وبعد : فان طبعة الدكتور جعفر كتاني لحلية المحاضرة ليست طبعة مشوهة ومحرفة ومصحفة ، ولكنها ـ وهو الاخطر ـ طبعة ناقصة ومزورة ، وهي طبعة انتفت فيها الدقة والامانة العلمية انتفاءً تاما .

وهذا ما دفعنا الى اعادة كتابه القسم الذي ضاع من اصول الحلية ـ نتيجة الحرب الاهلية في بيروت ـ ، ودفعه الى المطبعة ، انصافا للحاتمي الذي رزء في كتابه هذا مرتين ، مرة بخفائه عشرة قرون ، ومرة ثانية بصدوره في طبعة ناقصة شوهاء محرفة مصحفة . والله العالم